

الصراع العثماني الفارسي وأثره على العراق دراسة تاريخية (1508 - 1779 م)

د. سرمد عكيدي فتحي الدهان م. ستار محمد علاوي

المستخلص

أدركت الدولة العثمانية أهمية العراق ، وان ضياعه سوف يؤدي إلى وقوعه بأيدي الدولة الفارسية لذلك عملت الدولة العثمانية على التمسك به وعد إعطاء الفرصة للدولة الفارسية في السيطرة عليه . لذلك جندت الدولة في سبيل ذلك امكانياتها المالية والعسكرية تحدياً للدولة الفارسية واصرار على الوقوف إمام إطماعها ، واصبحت السياسية العثمانية تقوم على الحفاظ على العراق وعدم التساهل في التنازل عن اي جزء منه . حيث واجهت الدولة العثمانية تحديات كبيرة ازاء الاطماع الفارسية المتمثلة بالدولة الصفوية التي حكمت بلاد فارس من الفترة الممتدة من (1508 - 1726) حيث شهدت هذه الفترة وقوع العديد من المعارك بين الدولتين ادت الى توقيع العديد من المعاهدات ، كان من ابرزها معاهدة اماسية ومعاهدة زهاب تعتبر الاخيرة اول معاهدة حدودية بين الدولتين .

اما المرحلة الثانية من التحديات فقد بدأت بعد انهيار الدولة الصفوية ومجيء نادر شاه مؤسس الدولة الافشارية حيث نادر شاه حملتين عسكريتين الى العراق :

الاولى نحو مدينة الموصل حيث فشلت ولم تحقق اهدافها اما الحملة الثانية فقد توجت نحو مدينة بغداد، محاولاً احتلالها الا ان الحملة فشلت ايضاً ولم تحقق اي نتائج مهمة بسبب الاستعدادات العسكرية التي اقامها العثمانيين ومقاومة اهلها .

أما المرحلة الثالثة من التحديات فقد تمثلت بمحاولة كريم خان الزند مؤسس الدولة الزندية احتلال مدينة البصرة بسبب اتساع نشاطها التجاري على حساب مركز ميناء بوشهر الفارسي . وقد استطاع كريم خان احتلال المدينة بالرغم من المقاومة التي ابدتها اهالي البصرة بالدفاع عن المدينة بالتعاون مع الجيش العثماني. وبقيت المدينة خاضعة للسيطرة الفارسية حتى وفاة كريم خان .

Abstract

I realized the Ottoman Iraq's importance, and that loss will lead to a fall in the hands of the Persian Empire worked to uphold a promise to give the opportunity to the Persian State in control.

So it recruited the state for the sake of financial and military potential challenge to the Persian state and the insistence on a stand in front of ambitions, political and became the Ottoman Empire based on the preservation of Iraq and show no leniency to cede any part of it. Where the interface of the Ottoman Empire significant challenges over the Persian ambitions of state Safavid that Persia ruled from the period (1508 - 1726), where this period witnessed the occurrence of many battles between the two led to the signing of many treaties, it was notably Amaseh Treaty and Zhab is last first border treaty between the two countries.

The second phase of the challenges began after the collapse of the Safavid state and the advent of Nadir Shah, founder Alafsharih state where the point of Nader Shah's military campaigns in Iraq first toward the city of Mosul, where failed and did not achieve its goals. The second campaign was headed towards the city of Baghdad, trying to occupy, but the campaign also failed and did not achieved any significant results because of the military preparations, set up by the Ottomans and the resistance of its people.

مقدمة

تتميز العلاقات الصفوية العثمانية منذ نشوء الدولتين بعدائيتها وبأنها لم تسير على وتيره واحدة إذ أنها تكون علاقات عدائية عندما تكون كلا الدولتين في أوج عظمتها ثم علاقات حسنة عندما تتعرض كلا الدولتين إلى الضعف أو إلى خطر خارجي آخر مما يضطر إحدهما إلى طلب الصلح مع الأخرى بهدف التفرغ لاستعادة قوتها من جديد أو مواجهة الخطر.

وهذا ما حدث عندما أقدمت الدولتين على توقيع العديد من المعاهدات فيما بينها. ومنها على سبيل المثال، معاهدة أماسية 1555م، ومعاهدة زهاب 1639م التي تُعد من أهم المعاهدات بين الدولتين لأنها رسمت الحدود بصورة واضحة بينهما.

وقد كان من نتائج هذا الصراع إضعاف الدولة الصفوية وانهارها بعد تعرضها للغزو الأفغاني.

ثم ظهرت بعد ذلك شخصية قوية في بلاد فارس استطاعت طرد الغزاة وإعادة توحيد البلاد وهذه الشخصية المتمثلة بشخصية نادر شاه. الذي استطاع توسيع حدود ممتلكاته خارج بلاد فارس، وخاض حروب طويلة ومريرة ضد الدولة العثمانية ولا سيما في الأجزاء التابعة لها في أراضي العراق، مما أدى إلى اضطراب الأحوال المعيشية في البلاد.

والخطوة الأكثر أهمية في حياة نادر شاه هو دعوته لعقد مؤتمر إسلامي في النجف. وقد نجح نادر شاه في عقد هذا المؤتمر الذي حقق بعض المكاسب المهمة ومنها التقريب بين المذاهب الإسلامية كافة. إلا أن هذا النجاح سرعان ما انتهى بسبب مقتل الشاه.

ثم سرعان ما عاد الصراع بين الدولتين في عهد الشاه الجديد كريم خان الذي استطاع القضاء على الفتن الداخلية التي حدثت بعد مقتل نادر شاه واستطاع أن يوسع ممتلكاته على حساب أراضي الدولة العثمانية ولا سيما بعد أن ضم البصرة إلى حوزة الدولة الفارسية.

وخلاصة القول أن الصراع بين الدولتين يرجع إلى أسباب سياسة واقتصادية ومذهبية. واشتملت الدراسة على مقدمة وثلاث مباحث؛ تناول المبحث الأول الصراع العثماني الصفوي من المدة 1508 - 1576 م، والتي تناولت فيها نشأة الدولة الصفوية وتوسعها في عهد الشاه إسماعيل والشاه صفي على حساب أراضي الدولة العثمانية مما أدى إلى الصدام بين الدولتين.

أما المبحث الثاني فقد تناول الفترة الزمنية المحددة بين 1588 - 1642 م. والتي شهدت توقيع معاهدة الحدود المهمة بين الدولتين عام 1639 م (معاهدة زهاب) التي رسمت الحدود لأول مرة بين الدولتين العثمانية والفارسية.

أما المبحث الثالث فقد تناول الصراع بين الدولتين من سنة 1729 ولغاية 1779م، إذ تم التطرق إلى سياسة نادر شاه التوسعية والموقف العثماني منه، وسياسة الشاه كريم خان الزند. واعتمدت الدراسة على عدد من الكتب العربية ومنها كتاب الوجيز في تاريخ إيران لمؤلفه حسن الجاف، وكتاب الشاه عباس الكبير لمؤلفه بديع محمد جمعة، وكتاب تاريخ الدولة الصفوية في إيران لمؤلفه محمد سهيل طقوش.

أما الكتب العربية كتاب: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث لمؤلفه ستيفن هيمسلي لونكريك، فضلاً عن الرسائل والأطاريح الجامعية ومنها السلطان مراد الرابع للدكتور صالح حسين

واستولى على آسيا الوسطى في الأعوام 1499 - 1500 م⁽²⁾، وكانت السلالة الصفوية⁽³⁾ في إيران من أقوى تلك السلالات التي ظهرت فيها والتي أرجعت إيران إلى سابق عهدها في ظل حكومة مركزية قوية على يد مؤسسها الشاه إسماعيل الصفوي⁽⁴⁾.

● قيام الدولة الصفوية

إن المعلومات التي تتناول عن أصل ونشأة هذه الأسرة الصفوية⁽⁵⁾ التي أسست تلك الدولة قليلة وغير واضحة. فقد ادعى الصفويين النسب ووضعوا شجرة تظهر انحدار الأسرة من الإمام الكاظم⁽⁶⁾، لكن لا توجد معلومات حقيقية تثبت صحة هذا النسب.

أما الرأي الأكثر قبولاً فهو أن الصفويين من أصل تركي أو أصل إيراني محلي وأنهم اعتمدوا اللهجة الأزرية وهي من اللهجات التركية الشائعة في أذربيجان⁽⁷⁾.

يُعد الشيخ صفى الدين الأردبيلي 1252 - 1334 م الذي تنسب إليه السلالة الصفوية مؤسس السلالة الصفوية، وبعد وفاة صفى الدين تولى ابنه صدر الدين مشيخة الحركة الصفوية حتى 1392 م. ثم انتقلت بعد وفاته إلى ابنه خوجة علي، إذ بدأ في عهده تحول الدولة الصفوية إلى حركة سياسية من خلال انتهاج أسلوب جديد لأجل نشر دعوته بين أتباعه على أساس مذهبي جديد، واعتاد خوجة علي لبس السواد⁽⁸⁾، بعد وفاته تولى المشيخة عدد من أفراد الأسرة الصفوية الزعامة منهم جنيد 1447 - 1460 م، وحيدر وسلطان علي 1488 - 1494 م، ولم يكن للأسرة الصفوية شأن كبير حتى تسلم السلطة إسماعيل الصفوي (1501 - 1524) م إذ توسعت حدود الدولة الصفوية لتشمل مناطق واسعة خارج

الجبوري، ورسالة العلاقات العثمانية الفارسية في عهد القاجاريين لنوران برهان علي، فضلاً عن الدراسات والبحوث والموسوعات.

المبحث الأول

الصراع العثماني الصفوي

للمدة (1508 - 1576) م وأثره على العراق

1. البدايات الأولى لنشأة الدولة الصفوية.
2. بروز إسماعيل الصفوي وبداية سياسة التوسع خارج بلاد فارس. وموقف الدولة العثمانية منه.
3. الشاه طهماسب والصراع مع العثمانيين (1524 - 1576).

لم تكن إيران في بداية القرن العاشر الميلادي تمثل وحدة سياسية كاملة، ففي بداية عام 1500 م؟ تمتلك دولة الخروف الأبيض (ألاق قونيلوا) الوند ميرزا والسلطان مراد، كان الأول يحكم أذربيجان وأرمينيا والثاني يحكم عراق العجم، وكذلك كان عدد من أمراء ألاق قونيلوا يحكمون فارس ويزد وكرمان والعراق العربي وديار بكر بصورة مستقلة ولا يدينون بالطاعة لأحد من الأمراء⁽¹⁾.

لقد كان من أقوى الممالك التي حكمت أجزاء كبيرة من إيران هي دولة الخروف الأبيض (ألاق قونيلوا)، والدولة التيمورية في خراسان، ولكن تلك الدولتين دب فيهما الضعف والفتور ومالت أوضاعها إلى التدهور والانحلال بسبب الفتن والحروب الداخلية وأصبحتا في معرض تهديدات السلالات الحاكمة الجديدة، وهكذا انقرضت دولة الخروف الأبيض على يد الدولة الصفوية والدولة العثمانية واستطاعت العشائر الأوزبكية الرحالة بقيادة خان الشيباني الدولة التيمورية في خراسان،

أية حال فإن النتائج الأكثر أهمية لتلك الهزيمة تمثلت في أثرها في شخصية الشاه إسماعيل وسياسته الداخلية والخارجية، إذ اعتبر اتباع الشاه أن الشاه شخصاً لا يقهر، إلا أن هزيمة جالديران دمرت هذه الصورة. أما في ميدان السياسة الخارجية فقد حاول الشاه إسماعيل بعد الهزيمة عقد تحالفات عسكرية مع بعض الدول الأوربية ضد العثمانيين إلا أن مساعيه لم تؤد إلى نتيجة ملموسة في هذا المجال⁽¹⁴⁾.

بعد انسحاب السلطان سليم الأول من الأراضي الإيرانية عاود الشاه نشاطه لأجل استعادة الأراضي التي خسرهما، إذ استولت قواته على المناطق الشمالية الغربية لإيران وفتح كرجستان وأصبحت ضمن الممتلكات الصفوية مما اضطر الدولة العثمانية على الموافقة لإبرام الصلح مع الصفويين، ولا ريب أن الشرخ الذي حصل نتيجة هذا الانقسام الخطر بين هاتين الدولتين المسلمتين كان على حساب الإسلام وإعاقة انتشاره في العالم، فقد وصل العثمانيون إلى قلب أوروبا الشرقية باسم الإسلام، وكانت حروب الدولة العثمانية من القرن الرابع عشر إلى القرن التاسع عشر تمثل حرب الإسلام ضد المسيحية⁽¹⁵⁾، فكان النصر حليف العثمانيين في جميع الجبهات وواصلوا تقدمهم حتى وفقوا في محاصرة فيينا امبراطورية النمسا والمجر عام 1529 م⁽¹⁶⁾، وبأثر هذا الانتصار التاريخي للقوات العثمانية انتاب الفزع أوروبا المسيحية من جراء التوسع العثماني، وتشير بعض القرائن والأدلة الدامغة أن الأوربيين أخذوا ينظرون إلى الدولة الصفوية في إيران بوصفها وسيلة قوية لتحويل الخطر عنهم، فقد كتب السفير النمساوي في اسطنبول آنذاك أن الإيرانيين وحدهم قادرون على أن يقفوا بيننا وبين الدمار⁽¹⁷⁾.

حدود بلاد فارس ولاسيما الأراضي التابعة للدولة العثمانية⁽⁹⁾، مما جعل المواجهة العسكرية مع الدولة العثمانية أمراً محتوماً⁽¹⁰⁾.

بدأت وتيرة التوتر تزداد يوماً بعد يوم بين الدولة العثمانية والصفويين في عهد الشاه إسماعيل الصفوي وعلى الرغم من محاولة السلطان العثماني بايزيد الثاني تخفيف الأزمة المتصاعدة بين الدولتين بإرسال الرسائل الرقيقة إلى الشاه إسماعيل ودعوته إلى السلام والوثام بين الدولتين إلا أن الاختلافات الحادة والعميقة بين الدولتين كانت أكبر من هذه المحاولات ففي سنة 1507 م استولت قوات القزلباش على أراضيه وكردستان وديار بكر واستولى الصفويين على معظم المناطق المعروفة بعراق العرب⁽¹¹⁾.

وفي سنة 1508 م استطاع الشاه إسماعيل أن يفتح بغداد⁽¹²⁾ ولم يمضي على احتلال الشاه إسماعيل لبغداد سوى أربع سنوات حتى تولى عرش السلطة العثمانية في اسطنبول رجل شديد المراس لا يقل عن الشاه إسماعيل في تعصبه المذهبي وتعطشه للدماء وهو السلطان سليم⁽¹³⁾ الذي اشتهر بلقب (ياوز) ومعناه الصارم لا يعرف اللين.

استعد السلطان سليم لمقابلة قوات الشاه إسماعيل في عقر داره، وفي سنة 1514 م توجه الشاه إسماعيل على رأس قواته إلى إيران ووقعت معركة جالديران على مقربة من تبريز وكان النصر فيها حليف الجيش العثماني، فقد انسحب الشاه إسماعيل بقواته إلى أعماق الأراضي الإيرانية، كانت هزيمة جالديران أول هزيمة عسكرية يُمنى بها الشاه إسماعيل الصفوي، وكانت من نتائجها المباشرة استيلاء العثمانيين على ديار بكر وبسط سيطرتهم على إمارة ذو القدر، كما أنهت تلك الهزيمة آمال الشاه إسماعيل في التوسع باتجاه الأناضول. وعلى

و وحده سيطرته على الأحواز كلها.
توفي الشاه في الخامسة والثلاثين من عمره سنة
1524 م بمرض الحصبة في مدينة سراب بعد حكم
دام أربعة وعشرين عاماً ودفن في أردبيك في مقبرة
جده الشيخ صفى الدين⁽²²⁾.

● الشاه طهماسب

والصراع مع العثمانيين 1524 - 1576 م

خلف الشاه إسماعيل أربعة أبناء هم طهماسب
ميرزا وسام ميرزا وبهرام ميرزا والقاص ميرزا و
أكبرهم سنًا هو طهماسب ميرزا كان في العاشرة
من عمره عندما وصل إلى عرش إيران⁽²³⁾. وقد
استمر حكمه زهاء 52 سنة لحين وفاته في 14
أيار 1576 م⁽²²⁾. لم تختلف سياسة الشاه الجديد
عن سياسة والده في التوسع على حساب الأراضي
المجاورة لبلاد فارس و لاسيما الأراضي التابعة
للدولة العثمانية في العراق، إذ بعث الشاه طهماسب
بجيش كبير إلى العراق واستولى على بغداد وتخلص
من ذي الفقار⁽²⁴⁾ عام 1530 م بعد صراع عنيف
مرة أخرى على العراق بين الدولتين الصفوية
والعثمانية⁽²⁵⁾.

ولم يكن هيناً على السلطان سليمان القانوني⁽²⁶⁾
وهو يعد نفسه حامياً للمدن المقدسة في العراق أن
يسمح بضيق بغداد وقد استثار نخوته وكان أعوانه
وحاشيته يذكرونه دائماً بأن والده السلطان سليم
لو كانت قد امتدت به الحياة لاكتسح الإيرانيين
بالنار والسيوف⁽²⁷⁾.

في مطلع سنة 1533 م، أصدر السلطان سليمان
القانوني أمره إلى الصدر الأعظم إبراهيم باشا
بالتوجه على رأس قوة من (90000) رجل إلى
أذربيجان ونجح في اختراق أذربيجان واستولى على
تبريز في تموز 1534 م. ولتحقيق نتيجة حاسمة

أسفر الانتصار العثماني فيجالديران عن نتائج
مهمة، فمع أنه لم ينهي الدولة الصفوية إلا أنه
أصابها بضريرة قاسية وجعلها تقبع في إيران، كما
سعى الشاه إلى تأكيد تحالفه مع أوروبا لاجل
إضعاف العثمانيين فأرسل وفود إلى صربيا وهنغاريا
ودول أوربية أخرى لهذا الغرض.

وفيما يخص العراق فإن العثمانيين قد بسطوا
سلطانهم على أجزائه الشمالية، ومنها الجزيرة
والموصل وسنجار وتلعفر والعمادية وأربيل
وكركوك، وهيت وحديثة وعانة⁽¹⁸⁾. وقد زعزع
انتصار العثمانيين النفوذ الإيراني في المنطقة، وهز
كيان المواليين لهم، ومهد السبيل لطردهم من بقية
أجزاء العراق.

لم يترك احتلال الصفويين للعراق أثراً مهماً في
تاريخه سياسياً أو اقتصادياً، إذ لم يتغير ما كان سائداً
فيه في الحقب السابقة سوى تبديل أشخاص الحكام
بآخرين وظل نظام الأراضي كما كان عليه في الماضي،
ولم يحدث ما يشير إلى ان هناك اهتمام بإصلاح طرق
الري⁽¹⁹⁾.

تميزت سياسة إسماعيل الصفوي في العراق
بالعنف والقسوة، فبالرغم من أن الشاه دخل بغداد
سليماً، فإنه أمر بمذبحة راح ضحيتها عدد كبير من
السكان دون مبرر، وأشار المؤرخ ابن شدقم إلى
ذلك بقوله: «فتح (الشاه) بغداد وفعل بأهلها
ما لم يسمع بمثله قط في سائر الدهور بأشد أنواع
العذاب»⁽²⁰⁾.

كما اتبع الشاه سياسة تفريق صفوف الأمة
الواحدة كما ضرب القبائل العربية وسلب أموالها،
واضطهد السكان و خرب منازلهم ومزارعهم⁽²¹⁾.
غادر الشاه بغداد بعد أن ثبت نفوذه بها، ثم بعد
ذلك ضم البصرة إلى ممتلكاته، ثم سلك طريق
تستر والحويزة وقضى على الإمارة المشعشعية هناك

وسط مظاهر كلمات عثمانية بعرض بدلها. ومن الجدير بالذكر أن السلطان لم يسمح لجيشه بدخول المدينة خوفاً من عدم إمكانية كبح جماحهم، وشدد على عدم إلحاق الأذى بالأهالي فكسب رضاهم⁽³¹⁾، كما سعى إلى تعزيز ولاء السكان فقام بزيارات للأماكن المقدسة ورصد الأموال لها وأمر ببعض المشاريع العمرانية ومن أهمها بناء سد ترابي لوقاية كربلاء من الفيضان، وتوسيع التربة المعروفة بالحسينية لجلب المياه العذبة من الفرات إليها، فامتدت في الأراضي المحيطة بها البساتين وحقول القمح. وقد شرع الأعيان وشيوخ القبائل والوفود من مختلف المدن إلى بغداد لتقديم ولائهم للسلطان العثماني، كما وصل بغداد الشيخ راشد ابن أمير البصرة مغامس بن مانع، يعلن انضمام البصرة والحويزة ولورستان إلى العثمانيين، وبذلك سيطر العثمانيين على واحد من الطرق التجارية التي تربط الشرق الأقصى بأوروبا، كما سيطروا على الرأس الشمالي للخليج العربي⁽³²⁾.

ترتب على العثمانيين مسؤوليات جديدة في منطقة الخليج العربي، فأمر السلطان بإعداد الأسطول العثماني لمنازلة البرتغاليين الذين تزايد نفوذهم في البحار العربية، ثم عين حاكم ديار بكر سليمان باشا الطويل والياً على بغداد، وأبقى فيها حامية مؤلفة من 1000 جندي مزودين بالأسلحة النارية و1000 فارس، وهياً لها تمويلاً كافياً للدفاع عنها في حالة تعرضها لهجوم إيراني، وعاد بطريق أذربيجان. واضطر الشاه طهماسب إلى طلب الصلح، ووافق سليمان على الطلب وأخلى تبريز مقابل تعهد الشاه بعدم الاعتداء⁽³³⁾. لم تنتهي أطماع طهماسب لأجل استعادة العراق من قبضة الدولة العثمانية، إذ حاول استعادة العراق إلى حوزة الدولة الصفوية إلا أنه فشل في مسعاه، وقد أتعبت الحرب فارس، وبات

ضد الصفويين، سار السلطان على رأس جيش في السنة نفسها متجهاً إلى تبريز، وفي النهاية حيث التقى السلطان بصدده الأعظم قرب تبريز ومن هناك تحرك على رأس القوات العثمانية متجهاً إلى السلطانية جنوب بحر قزوين للقاء طهماسب الأول والاستيلاء على عاصمته قزوین والإجهاز على الدولة الصفوية⁽²⁸⁾. استطاع السلطان سليمان القانوني إلحاق هزيمة كبيرة وساحقة بالجيش الصفوي بالقرب من نهر (قزل أوزون) في الجنوب الشرقي من أذربيجان، وانفتح الطريق أمامه إلى قزوین ولكن ما فشل فيه الشاه من مواجهة الجيش العثماني نجح فيه الطقس وسوء الأحوال الجوية، إذ هطلت الأمطار الغزيرة وتساقطت الثلوج واشتد البرد وساءت الطرق فأصبح من العسير سير العربات وجر المدافع، مما أثر كثيراً في نفسية الجنود العثمانيين، فجعل تحقيق الهدف من التقدم أمراً مستحيلاً، فأمر السلطان جيشه بالانحراف نحو بغداد⁽²⁹⁾.

سلك السلطان طريق همدان بهدف السيطرة على الطريق التي تربط بغداد بالشمال والشرق، وبذلك قطعت القوات العثمانية إمكانية نجده الصفويين لحمايتهم في العاصمة العراقية، وأثر تقاعس طهماسب عن مواجهة الزحف العثماني سلباً في الأمراء الخاضعين له والمنتشرين على الطريق إلى بغداد فأعلنوا خضوعهم للعثمانيين، وعندما اقترب الجيش العثماني من بغداد هرب حاكمها محمد خان بعد أن يتس من وصول الإمدادات إليه، وثبت لديه أن الجيش الإيراني الرئيس لم يجرؤ على خوض معركة توقف تقدم السلطان في قلب إيران نفسها⁽³⁰⁾.

دخل الصدر الأعظم بغداد في 31 كانون الأول 1534 م، وبعده بيومين دخلها السلطان سليمان

والبسالة جاءوا إلى العراق ووراءهم أمجاداً عريضة في سوح المعارك، وكان لدى قسم منهم كفاءة إدارية، فنشطوا في تأمين النظام داخل المدن، وفي قتال البدوية خارجها، وصدت تدخلات الصفويين عبر الحدود، وشيد بعض أولئك الولاة في بغداد عدداً من الجوامع والمدارس من أبرزها جامع المرادية الذي شيده والي بغداد مراد باشا⁽³⁶⁾. ونشطت الحياة التجارية نشاطاً ملحوظاً في هذه الحقبة وأصبحت بغداد مركزاً تجارياً مهماً وقد زارها عدد من الرحالة والتجار الأجانب ودونوا انطباعاتهم عنها⁽³⁷⁾.

المبحث الثاني

الصراع العثماني وأثره على العراق

● الصراع العثماني الصفوي

في عهد الشاه عباس الكبير (1588 - 1726 م) تميزت العلاقات الصفوية - العثمانية بالعدائية منذ القرن السادس عشر ولاسيما بعد معركة جالديران 1514 م⁽³⁸⁾. فقد انتهز العثمانيون فرصة الاضطرابات التي اجتاحت إيران خلال فترة حكم كل من الشاه إسماعيل الثاني والسلطان محمد خدا، إذ هاجمت القوات العثمانية العديد من الأراضي الصفوية واستولت على جزء كبير منها، إذ استولى (فرهاد باشا) على (قرى بانج) وضمها إلى مدينة كنج، كما أن جعفر باشا حاكم تيريزا العثماني مد سيطرته على جميع المناطق المجاورة لتبريز حتى منطقة (سراب)، وفي جبهة العراق تمكن (جيفال أوغلي) من مد سيطرته حتى نهاوند وحدود (ليستان)⁽³⁹⁾.

واضحاً لطمها سبب أن استعادة العراق أصبحت أمراً مستحيلاً، وفي الوقت نفسه تبين أن العثمانيين يستطيعون الانتصار في حرب ثانية وثالثة، وأن يتمكنوا من تثبيت أقدامهم في الدولة الفارسية، ولهذا كانت الظروف مهيأة لعقد صلح جديد بين الطرفين، وانطلاقاً من هذه الحقيقة أرسل طهما سب سفيراً للتفاوض مع السلطان العثماني، وعلى أثر المساعي الحميدة للسفير ومحاولاته الجادة وقناعة الطرفين المتخاصمين بأن الحرب لن توصلهما إلى نتيجة حاسمة جنح الطرفان إلى السلم، ووصل الشاه طهما سب إلى قناعة أكيدة أن قواته لن تتمكن من تثبيت أقدامها في الممتلكات الصفوية، عليه أصبحت الظروف مهيأة لعقد صلح بين الطرفين وهو الصلح الذي عرف باسم صلح: (أماسيا) عام 1555 م⁽³⁴⁾. وقد نصت اتفاقية الصلح على البنود الآتية:

1. ترك ولاية فارس وقلعتها للدولة العثمانية.
2. تتحدد حدود ولاية شهرزور منعاً لوقوع الحوادث بين البلدين.
3. تأمين سلامة الحجاج الفرس الذاهبين إلى زيارة العتبات المقدسة في العراق والبلاد العربية. سادت الواقعة عقب عقد معاهدة حقبة من الاستقرار دامت قرابة نصف قرن، تخللها عدد من الاضطرابات في منطقة البصرة نتيجة الثورات القبلية⁽³⁵⁾، وقد أدرك سليمان القانوني وأن ضياعه يعني تجدد الأطماع الإيرانية في الأناضول، فعمل على التمسك به، وجند في سبيل ذلك إمكانيات مالية وعسكرية كبيرة تحدياً لإيران وإصراراً على الوقوف أمام أطماعها، وأصبحت السياسة العثمانية في عهد قوة الدولة تقوم على الحفاظ على العراق، وعدم التساهل في التنازل عن أي جزء منه. واختار العثمانيون لولاية العراق رجالاً امتازوا بالجرأة

وذلك لكي يتفرغ لجهة خراسان من جهة، ولعدم وجود القدرة لديه في ذلك الوقت لطرد العثمانيين من المناطق التي استولوا عليها، فعندما ثار خان أخو خان حاكم جيلان على الشاه عباس الكبير لجأ إلى الدولة العثمانية إذ أحسنوا استقباله، لم يحتج الشاه عباس الكبير على ذلك. ونفس الشيء حدث مع (شاه وردي خان) حاكم لرستان الذي ثار ضد الشاه عباس الكبير وهرب إلى بغداد للاحتباء بالدولة العثمانية. واستمرت العلاقات حسنة بين الدولتين وكان الشاه عباس يتظاهر بأنه يعاضد العثمانيين في حروبهم ضد أوروبا ولكنه في نفس الوقت كان يحاول الاتفاق مع الأوربيين للتعاون فيما بينهم وبينه ضد السلطان العثماني. وعندما وصلت الأنباء إلى الشاه عباس الكبير بموت السلطان مراد الثالث (7595 - 1603) أرسل وفد لتقديم العزاء وتهنئة السلطان الجديد في جلوسه على سدة الحكم⁽⁴³⁾.

بعد أن حقق الشاه عباس الكبير انتصارات حاسمة على الأوزبك في خراسان وتأمين جبهته الشرقية بدأت مرحلة جديدة في العلاقات الصفوية-العثمانية، إذ بدأ الشاه عباس يخطط للدخول في مواجهة عسكرية مع العثمانيين، ومن أولى الإجراءات التي اتخذها في هذا المجال هو نقل العاصمة من قزوین إلى أصفهان، ذلك لأنه شعر بأن وجود العاصمة في قزوین يجعلها قريبة من أي هجوم عثماني، لذلك عمل على نقلها إلى أصفهان لتكون بعيدة عن الهجمات العثمانية⁽⁴⁴⁾. ثم أخذ الشاه عباس ببذل قصارى جهده في تقوية جيشه وتدريبه وتنظيمه وتسليحه بالأسلحة الحديثة، فعمل على إنشاء (فرقة المسلحين وفرقة الغلمان وفرقة المشاة هسيون)، واهتم بإنشاء فرقة المدفعية، وقد استعان بالهيئة الإدارية الإنكليزية ومن خبرة

وعندما اعتلى الشاه عباس الكبير (1588 - 1629)⁽⁴⁰⁾. سدة الحكم وجد نفسه يواجه عدوين شرسيين هما الأوزبك في الشرق والعثمانيين في الغرب، ولما كان لا يستطيع أن يحارب على جبهتين في وقت واحد حاول تأمين الجبهة الغربية (العثمانية) ليتفرغ لخطر الأوزبك فعاد إلى قزوین وسعى إلى عقد صلح مع العثمانيين، وقد وافق العثمانيين على توقيع الصلح، وجرت المفاوضات بين الجانبين في استانبول استمرت ستة أشهر تمخضت عن عقد معاهدة في الثاني والعشرين من آذار 1590 تضمنت تنازل إيران للدولة العثمانية عن تبريز والقسم الغربي من أذربيجان وولايات أرمينيا (شكي) شماخي، تغليس، شروان، الكرج، قرا باغ، وقسم من ليرستان مع قلعة نهاوند، ويتعهد الصفويين بعدم التعرض لائمة الأمة ورموزها البارزة وأن يبقى حيدر ميرزا أخو الشاه عباس الكبير رهينة في استانبول كدليل على حسن النية وعدم خرق المعاهدة، ويتعهد الطرفان بالإفراج عن أسرى الحرب من كلا الجانبين، ويتعهد الطرفان بعدم إيواء الفارين من كلا الجانبين⁽⁴¹⁾.

حقق العثمانيون بتوقيعهم لبنود هذه المعاهدة هدفين استراتيجيين:

يتمثل الأول: في تأمين جبهتهم الشرقية حتى يتفرغوا لحروبهم مع أوروبا.

وثانيهما تمثل في إيقاف الحملات العدائية التي شنتها الدولة الصفوية ضد الدولة العثمانية. وبعد توقيع هذه المعاهدة سيطر الهدوء على منطقة الحدود الجديدة بين الدولتين والتي نصت عليها هذه المعاهدة، وبذلك انتهت فترة من الحروب والمناوشات استمرت اثنا عشر عاماً⁽⁴²⁾. وكان الشاه عباس حريص كل الحرص على أن يستمر هذا الهدوء مهما حدث ما من شأنه أن يعكر صفو العلاقات،

الدولة الصفوية والإمارة الأردلانية القسم الغربي من جبال زاكروس، غير أن التحالف مع العثمانيين لم يستمر طويلاً فسرعان ما أدرك أمراء أردلان أن مصلحتهم تقضي التحالف مع الدولة الصفوية وبأن يعلنوا تبعيتهم لها⁽⁴⁶⁾.

- ثانياً. استرداد مدينة تبريز:

حدث في عام 1602 نزاع بين علي باشا حاكم تبريز وغازي بك الكردي حاكم سلماس في أذربيجان، فهاجم الجيش العثماني المتمركز في تبريز مدينة سلماس ونهبها وقتل عدد من سكانها فطلب غازي بك المساعدة من الشاه عباس الكبير⁽⁴⁷⁾. انتهز الشاه عباس الكبير وجود علي باشا خارج تبريز وأمر بإعداد الجيش الصفوي على وجه السرعة وأعلن لجنوده أن وجهة الحملة ستكون صوب مازن دران، وتقدم الجيش صوب كاشان وفيها إلى قزوين، كما أصدر الشاه أوامره لحاكم قزوين بأن يتبعهم بغلمانه وجيشه وأصدر نفس الأمر إلى ذي الفقار خان حاكم أردبيل، وما إن وصلوا إلى مشارف تبريز⁽⁴⁸⁾. لجأ الشاه عباس الكبير إلى الحيلة حتى تمكن من استعادة المدينة بأقل جهد عسكري وأدنى الخسائر، فأمر جماعة من جنده بارتداء الزي المدني ودخول المدينة على أنهم من سكانها، كما أمر جماعة أخرى بالتخفي بزى التجار⁽⁴⁹⁾ الذين يسيقون القوافل التجارية عادة حتى يعرف الأهالي أن هنالك قافلة قادمة، وبذلك تم خداع الجنود العثمانيين المتواجدين في المدينة، وفي الساعة المتفق عليها بين الشاه عباس الكبير وجنوده المتخفين داخل المدينة بدأ الهجوم من الداخل والخارج، وبالفعل نجحت خطة الشاه عباس الكبير وتمكن من دخول المدينة بدون مشقة تذكر، فأستقبله الأهالي استقبلاً حاراً حيث

أعضائها وبخاصة الأخوين (انطوني وروبرت شيرلي)، إذ ساعده في إنشاء وصنع الأسلحة النارية وزودا جيشه بالمدافع، وبذلك أصبح الجيش الصفوي قادراً على مواجهة الجيش العثماني، مما شجع الشاه عباس الكبير على نقض معاهدة عام 1590⁽⁴⁵⁾.

- أولاً. استرداد إمارة أردلان:

تمثل الصراع في هذه المرحلة من العلاقات الصفوية العثمانية حول إمارة أردلان وتبريز ونخجوان وإيروان، وأما فيما يتعلق بإمارة أردلان الكردية فقد كان فرض السيطرة عليها سبب في صراع ما بين الدولتين الصفوية والعثمانية، إذ كانت هذه الإمارة تحكم مناطق واسعة وتسيطر على قلاع استراتيجية وتملك قوة عسكرية قوية. وخلال الصراع الصفوي-العثماني حاول الأمراء (الأردلانيون) أن يتخذوا موقفاً حيادياً من هذا الصراع، غير أن الشاه عباس الكبير نجح في السيطرة على أردلان وأصبح تعيين وعزل الأمراء الأردلانيون من صلاحيات الشاه في أصفهان، وزاد تدخل الصفويين في شؤون الإمارة الداخلية أن تبعية هذه الإمارة رجح من كفة الصفويين في صراعهم مع الدولة العثمانية، وكانت لسياسة الضغط التي مارستها الدولة العثمانية على إمارة أردلان أثر كبير في ابتعاد الأردلانيين عن العثمانيين والاقتراب من الصفويين الذين لم يختلفوا عن العثمانيين في تعاملهم مع أهالي إمارة أردلان، فبسبب انتهاج بعض السياسات التعسفية من قبل شاهات الدولة الصفوية فقد أعرض بعض أمراء أردلان عن الدولة الصفوية ومالوا إلى التحالف مع العثمانيين، وبذلك فقد الصفويين حليفاً قوياً سهلاً على العثمانيين احتلال شهرزور. وكان من نتيجة ذلك أن خسرت

قام الشاه عباس الأول بمحاصرة المدينة وضرب التحصينات حولها، وجرى القتال بين الجانبين وأثناء المعارك وصلت الأنباء بوفاة السلطان محمد الثالث وتولى ابنه أحمد الأول (1603 - 1617) مقاليد الحكم ونشوب اضطرابات في عاصمة العثمانيين مما أضعف الروح القتالية لدى الجنود العثمانيين ففقدوا الأمل في تلقي المساعدة من استانبول، في حين انتهز الشاه عباس الكبير الفرصة وشدد الضغط على المدينة فاستولى على قلاعها الثلاثة في أيار 1604 م⁽⁵³⁾.

أثار استرداد الشاه عباس الأول لنهاوند ثم تبريز وعدد من مدن أذربيجان (نخجوان وایروان) الدولة العثمانية فأمر السلطان أحمد بإعداد جيش كبير يتولى قيادته الصدر الأعظم سنان باشا وذلك ليؤدب عباس الكبير ويسترجع جميع المناطق التي استولى عليها الجيش الصفوي ثم يواصل تقدمه ويسخر إيران كلها ويقضي على الدولة الصفوية. تحرك الجيش العثماني بقيادة سنان باشا حتى وصل إلى مدينة (قارص) على الحدود الصفوية-العثمانية حيث توقف سنان باشا بقواته ليعدها من جديد ويضع خطته لبدء الهجوم واختيار الطريق الذي يسلكه لمهاجمة الشاه عباس الكبير والقضاء على جيشه. كانت أخبار الحملة العثمانية تصل أول بأول إلى الشاه عباس الكبير عن طريق جواسيسه، وما أن علم بأن الجيش العثماني سوف يتجه باتجاه نخجوان وایروان حتى أثاره الفزع، إذ أن أغلب جنده كان قد عادوا إلى ذويهم، لذا قرر التراجع إلى تبريز حتى يغري سنان باشا بالتوغل داخل الأراضي الصفوية. وبالفعل قام بذلك وقام بحرق المناطق وإخلائها من سكانها.

نجحت خطة الشاه عباس الكبير، فقد تكبدت القوات العثمانية خسائر كبيرة نتيجة لقلّة المؤونة

استطاع تحرير مدينتهم واستردادها بعد أن ظلت تحت الحكم العثماني زهاء عشرين عاماً⁽⁵⁰⁾.

بعد ذلك وما إن علم علي باشا بدخول الشاه عباس الكبير إلى مدينة تبريز حتى سارع في عقد صلح مع غازي بك الكردي وعاد إليها مسرعاً وهو عازم على استردادها من الصفويين، وفي أثناء عودته تشجعت بعض المدن في استعادة تبريز مثل نخجوان وایروان وأريقان فسحبت جنودها من جيش علي باشا مما أضعف وضعه العسكري ومع ذلك استمر في التقدم نحو تبريز وعسكر على بعد ستة فراسخ منها ليعيد تنظيم صفوف قواته، غير أن الشاه عباس الكبير تمكن من هزيمته وأسرته، وقتل عدد كبير من جنوده. وتقدم الشاه عباس الكبير إلى قلعة المدينة فأمن الجنود العثمانيين فيها ثم هدمها كرمز للقضاء على الوجود العثماني في أذربيجان كلها في الرابع والعشرين من تشرين الأول 1603 م⁽⁵¹⁾.

- ثالثاً. استعادة مدينتي نخجوان وایروان :

بعد أن نجح الشاه عباس الكبير في استرداد تبريز بدأ يعمل جاهداً لاسترداد جميع مدن أذربيجان الواقعة تحت السيطرة العثمانية، فأمر جيوشه أولاً بالتوجه صوب قلاع نخجوان وایروان فتقدم ذو الفقار خان صوب قلعة نخجوان وحاصرها فسارع الجنود العثمانيين بطلب الأمان إذ كان عددهم لا يسمح بمقابلة الجيش الصفوي المحاصر لهم، فأمنهم ذو الفقار على حياتهم وتسلم منهم القلعة دون قتال. وبعد ذلك تقدم الجيش الصفوي بقيادة الشاه صوب قلاع إیروان الثلاثة، إذ كانت حامية إیروان مكونة من ثلاث قلاع تتسم بمناعتها وصعوبة الوصول إليها وفيها يقيم قائد الحامية شريف باشا⁽⁵²⁾.

الطريق بين أذربيجان و أذربيجان ونتج عنها توقيع اتفاقية الصلح في التاسع والعشرين من أيلول عام 1618 م، وقد تضمنت أن تكون الحدود كما متفق عليها في معاهدة (أماسيا)، وأن تبقى بنود معاهدة (استانبول الثانية) السابقة الذكر سارية المفعول، وتعهد الشاه بإرسال مئة حمل من الحرير سنوياً إلى استانبول⁽⁵⁷⁾.

- رابعاً. استرداد مدينة بغداد :

تعرض الحكم العثماني في العراق لهزات كثيرة كانت محصلة لاحتلال فارسي ثاني تمثلت⁽⁵⁸⁾ في ضعف السيطرة العثمانية على مدينة البصرة في بداية القرن السابع عشر⁽⁵⁹⁾، وانحلال جيش الانكشارية الذين أصبحوا مصدرراً للفتنة وبؤرة للفساد، فقد أدوا دوراً خطيراً في إثارة الفتن الداخلية في مدينة بغداد، ونشب القتال أكثر من مرة بينهم وبين القوات المحلية، فضلاً عن تمرد الولاة. ومن أخطر هذه التمردات التي شهدتها مدينة بغداد هو تمرد (بكر صوباشي)⁽⁶⁰⁾. أحد ضباط الانكشارية في بغداد، وكان قد تنفذ وأصبح له العشرات من الأتباع، فخشى منه والي بغداد يوسف باشا فأرسله لتأديب بعض القبائل، ومن ثم استعد الوالي لقتاله. ولكن عندما علم بكر صوباشي بذلك عاد إلى بغداد وحاصرها ودارت المعركة بضع ساعات قتل خلالها الوالي يوسف باشا فأصبح بكر صوباشي حاكماً عسكرياً مستقلاً في بغداد ثم أخذ يفكر بالحصول على الاعتراف بحكمه لولاية بغداد من الحكومة العثمانية، فأرسل إلى والي ديار بكر حافظ باشا يطلب منه أن يعرض الأمر على السلطان مراد الرابع (1623 - 1640) م، فرفض السلطان ذلك ونصب (سليمان باشا) والياً على بغداد ثم تقدم حافظ باشا لقتال بكر صوباشي⁽⁶¹⁾،

والضغط العسكري التي واجهته هذه القوات مما اضطر سنان باشا إلى الانسحاب باتجاه بحيرة (وان) وبدأ بتشكيل قواته من جديد⁽⁵⁴⁾.

هاجم الجيش الصفوي بقيادة الهوردي خان الجيش العثماني في منطقة (وان) وحدثت معركة طاحنة بين الطرفين انتهت بانتصار الجيش الصفوي وتراجع الجيش العثماني إلى ديار بكر، وفيها توفي الصدر الأعظم سنان باشا. ونتيجة للانتصارات التي حققها الجيش الصفوي باسترداده ثلاث مدن الواحدة تلوى الأخرى، رأى الصدر الأعظم درويش باشا أن مصلحة الدولة العثمانية تقضي في الدخول في مفاوضات مع الدولة الصفوية، وقد بذل جهود كبيرة في سبيل ذلك تكلفت في النجاح وتوقيع معاهدة استانبول الثانية⁽⁵⁵⁾. والتي نصت على الاعتراف بأن حدود الدولة الصفوية هي ما كانت عليه أيام حكم السلطان سليم الأول وبذلك يكف العثمانيين عن جميع الادعاءات التي يربطونها بفتوحات كل من مراد الثالث ومحمد الثالث، وأن يعلن الشاه عن استعداده لتصدير مئتي حمل من الحرير سنوياً للدولة العثمانية، وأن تقوم كل دولة بتحديد ممثلين عنها في اللجان المشتركة لتحديد الأراضي الخاصة لكل دولة منهما⁽⁵⁶⁾.

بعد ذلك اجتمعت اللجان الخاصة لترسيم الحدود بين الدولتين الصفوية والعثمانية في مدينة سلماش بأذربيجان ونجحت في ترسيم الحدود في كل من أذربيجان و أرمينيا وانفقت على تقسيم بلاد الكرج، الأمر الذي عارضه (طمهورث خان) حاكم (كاخت) الموالي للعثمانيين والتي نصت الاتفاقية على تبعيته للدولة الصفوية، فأعلن العصيان على الدولة الصفوية وطرد حاكمها من الإمارة، وبذلك تجددت الاشتباكات العسكرية وانتهت بتوقيع اتفاقية (سراب) في مدينة سراب على

كانت تعانیه القوات العثمانية من جهة أخرى من النقص في المؤونة والذخيرة دفع الانكشارية إلى التذمر من ثم تمردهم على الصدر الأعظم حافظ أحمد باشا مما اضطره إلى الانسحاب⁽⁶⁹⁾.

بعد أن أحكم الشاه عباس سيطرته على بغداد عام 1623 أخذ يفرض سيطرته على المناطق الأخرى الواحدة تلو الأخرى وسيما مدينة الموصل التي كانت من أهم المناطق التي سعى الصفويين للسيطرة عليها لما تتمتع به من موقع وأهمية استراتيجية⁽⁷⁰⁾.

● 2. الصراع العثماني الصفوي

في عهد الشاه صفي (1629 - 1642 م)

استغلت الدولة العثمانية الضعف والتدهور الذي أصاب الدولة الصفوية عقب وفاه الشاه عباس الكبير عام 1629⁽⁷¹⁾، والشاه صفي (1629 - 1642) الذي تميز عهده بالفوضى والاضطرابات الداخلية لتجديد هجماتهم عليها⁽⁷²⁾. إذ قرر السلطان مراد الرابع استرداد مدينة بغداد من سيطرة الدولة الصفوية، إذ لم تعد الدولة العثمانية ترغب ببقائها خارج سيطرتها⁽⁷³⁾. وقد تركز الصراع في هذه المرة حول مدينة بغداد وأرمينيا⁽⁷⁴⁾. في عام 1629 جهز السلطان مراد الرابع حملة بقيادة الصدر الأعظم خسرو باشا تحركت الحملة من استانبول في العاشرة من تموز عام 1629⁽⁷⁵⁾ وكان قد ارتكب خطأً عسكرياً كبيراً في عدم توجيهه مباشرةً إلى الهدف المحدد (مدينة بغداد)⁽⁷⁶⁾. إذ أنه رأى بأنه لا يمكن استعادة بغداد دون فصلها عن الدولة الصفوية، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالسيطرة على أذربيجان، لذلك ذهب إلى كركوك واستقطب أكثر من عشرين عشيرة كردية من الذين كانوا تابعين للعثمانيين سابقاً وتحولوا قسراً إلى الصفويين،

مما دفع بكر صوباشي إلى طلب المساعدة من الشاه عباس الكبير بواسطة حاكم لرستان حسين خان، إذ أرسل له مفاتيح بغداد مقابل أن ينقذه الشاه من قوات حافظ باشا⁽⁶²⁾. فوجد الشاه عباس في ذلك فرصة في استعادة بغداد من العثمانيين فأرسل قواته إلى بغداد، ونتيجة لذلك رفع حافظ باشا الحصار عن بغداد وعقد صلح مع بكر صوباشي ونصبه والياً على بغداد بموجب فرسان سلطاني⁽⁶³⁾. وعلى أثر هذا الصلح كتب بكر صوباشي إلى الشاه عباس يخبره ويرجوه إلى سحب قواته التي وصلت أطراف خانقين، ولما تسلم الشاه عباس الكبير الكتاب تملكه الغضب وقرر دخول بغداد ومعاينة بكر صوباشي⁽⁶⁴⁾. فتقدم إلى بغداد وحاصرها لمدة ثلاثة أشهر وتمكن الشاه عباس الكبير من استماله ابن بكر صوباشي المسمى (محمد) إلى جانبه بعد إغرائه بمنصب ولاية بغداد⁽⁶⁵⁾. ففتح أبواب بغداد ليلاً أمام جيوش الشاه عباس الكبير فدخلها في الحادي والعشرين من تشرين الثاني 1623 م⁽⁶⁶⁾.

عندما تولى السلطان العثماني مراد الرابع (1623 - 1640) حكم الدولة العثمانية⁽⁶⁷⁾. بدأ بالاستعداد لاسترجاع مدينة بغداد⁽⁶⁸⁾، فأرسل حملة لطرده الصفويين من مدينة بغداد في عام 1625 يترأسها الصدر الأعظم حافظ أحمد باشا ودام حصاره للمدينة قرابة ستة أشهر، ويعود سبب تأخره في اقتحام المدينة إلى النقص الذي كانت تعانیه قواته العسكرية في سلاح المدفعية، وقد تمكن الشاه عباس خلال هذه المدة من التقدم بجيشه من أصفهان للاحتفاظ بمدينة بغداد ولقد أبدى حافظ باشا شجاعة متناهية في مواجهة الصفويين والهجوم على جيشهم ونجح في الاستيلاء على اللواء المقدس لهم، وأعقب ذلك قيام مفاوضات فاشلة بين الطرفين، ونتيجة لطول مدة الحصار من جهة وما

أيام من ذلك قرر المجلس العسكري العثماني الانسحاب من مدينة بغداد. وقد تمت عملية الانسحاب بصورة منظمة وقد حمل الجيش كافة المدافع والمؤون ووصل إلى الموصل في الأيام الأولى من سنة 1631⁽⁸³⁾.

في عام 1633 استؤنفت العمليات العسكرية بين الدولتين الصفوية - العثمانية فتوجه السلطان مراد الرابع على رأس حملة عسكرية كبيرة باتجاه إيران وفي المقابل خرج الشاه صفي من عاصمته أصفهان وتوجه إلى كردستان للالتقاء به غير أن الاضطرابات التي نشبت في بلاد الشام ضد الحكم العثماني والتي أثارها الأمير فخر الدين الثاني أجبرت السلطان مراد الرابع على العودة لمواجهتها، وبعد أن تمكن من إخماد هذه الاضطرابات وإعدام الأمير في عام 1635 عاد إلى الجبهة الإيرانية فوصل إلى (أرزروم) فانظم إلى قواته المعسكرة فيها بقيادة الصدر الأعظم خسرو باشا، كان هدف الحملة مدينة (إيروان) فرحف الجيش العثماني البالغ عدده مئتي ألف جندي والمزود بمئة وثلاثين مدفع باتجاه المدينة، ولما وصل إليها في السابع والعشرين من تموز عام 1635 ضرب عليها الحصار⁽⁸⁴⁾. ودافعت عنها حاميتها بقيادة (طهماسب قلي خان) ببسالة وقد عززها الشاه صفي باثني عشر ألف مقاتل من حملة البنادق وأرسل جيشاً بقيادة (رستم خان) عسكر بالقرب من المدينة إلا أنه خشى الدخول في مواجهة مع القوات العثمانية المحاصرة للمدينة، ويبدو أن حاميتها لم تكن تملك مقومات الصمود أكثر من ذلك على الرغم من تعزيزها فاستسلمت في الثامن من آب 1635 بعد اثني عشر يوماً من الحصار ودخلها الجيش العثماني⁽⁸⁵⁾.

استمر السلطان مراد الرابع في مطاردة الجيش الصفوي على امتداد نهر (الرس) ولكنه لم يتمكن

ثم اجتاز الأراضي الصفوية، وعندما علم الشاه صفي الدين بذلك أرسل قوة عسكرية مؤلفة من أربعين ألف مقاتل بقيادة زيتيل خان للتصدي له ووقف زحفه وخرج هو نفسه (الشاه صفي) على رأس قوة عسكرية أخرى باتجاه بغداد، تصدى زيتيل خان للقوات العثمانية عند قلعة (مريفات) في الخامس من أيار عام 1630 إلا أنه تعرض للهزيمة فأمر الشاه صفي بإعدامه نتيجة لذلك⁽⁷⁷⁾.

فتحت هذه المعركة طريق همدان أمام القوات العثمانية فتقدم خسرو خان إلى همدان وفتحها في التاسع من حزيران وواصل تقدمه باتجاه قزوین فتصدى له حسين خان حاكم لورستان عند دركزيت على طريق همدان قزوین إلا أنه هزم أمامه وعندما علم الشاه صفي نتيجة لمعركة لاذ بالفرار إلى داخل أراضي الدولة الصفوية، وبعمل هذا الاندفاع العثماني استعاد العثمانيون مناطق إيران الغربية (كرمنشاه، كردستان، لورستان، خوزستان)، كما استعادوا في الوقت نفسه جنوب العراق وكربلاء والنجف والكوفة على يد مصطفى باشا حاكم طرابلس الشام⁽⁷⁸⁾.

اجتمع المجلس العسكري للجيش العثماني بقيادة خسرو باشا في مدينة دركزين فتم الاتفاق على تنفيذ أمر السلطان مراد الرابع⁽⁷⁹⁾. الذي أرسل كتاب إلى خسرو باشا يأمره بالتوجه إلى بغداد، وفي أثناء عودته على المحور الجنوبي الغربي التقى بحملة صفوية بقيادة (موراوي خان) اصطدم بها وتغلب عليها وأحرق مدينة نهاوند⁽⁸⁰⁾. ثم فرض الحصار على مدينة بغداد واستمرت الحرب سجالاتاً بين الطرفين، وفي اليوم الأربعين شن خسرو باشا هجوماً كبيراً على المدينة المحاصرة كانت نتيجته الفشل⁽⁸¹⁾، بسبب تقدم الشاه صفي باتجاه بغداد لمشاركة حاميتها في الدفاع عنها⁽⁸²⁾. وبعد خمسة

منطقة (القبن) وهي المرحلة الخامسة والعشرين ثم وصل إلى منطقة (جانيد خاني) وهي المرحلة الثانية والأربعين ثم وصل إلى حلب وهي المرحلة السادسة والخمسين ثم وصلت إلى (بيرجك) وهي المرحلة الخامسة والستين بعد ذلك وصلت الحملة إلى موضع (جلاب) التي توفي فيها الصدر الأعظم بيرم باشا ومن ثم وصل الجيش العثماني إلى ديار بكر وهي المرحلة السابعة والسبعين ثم وصلت إلى الموصل وهي المرحلة السابعة والتسعون ومن ثم وصل إلى كركوك ومنها اتجه إلى بعقوبة وبهرز وكانت المرحلة الأخيرة هي مقابل الإمام موسى الكاظم التي وصلها الجيش في صباح الخامس عشر من تشرين الثاني 1638⁽⁸⁹⁾. رفض السلطان أن يزور الإمام الكاظم قبل أن ينقذ بغداد من الصفويين⁽⁹⁰⁾ فقد أصدر أوامره لقواته بحفر المتاريس وكان السلطان إلى جانبهم يساعدهم في الحفر ويشد من أزرهم ويلقي الخطب فيهم لشحذ الهمم⁽⁹¹⁾. توجه الشاه صفي مع قوة ضئيلة قوامها اثني عشر ألف مقاتل قرب خانقين لمساعدة الصفويين المحاصرين بقيادة بكتاش خان وخلف خان وميرفتاح، فأرسل السلطان مراد الرابع قوة كبيرة لمقابلة الشاه صفي المتجه نحو بغداد وأجبرته على التراجع إلى داخل الأراضي الصفوية واستقر في قصر شيرين مع قواته ليراقب الحصار يوماً بعد يوم دون أن يتمكن من الاضطراد بالجيش العثماني⁽⁹²⁾. في الرابع والعشرين من كانون الأول 1638 شنت القوات العثمانية بقيادة الصدر الأعظم (محمد طيار باشا) هجوماً شاملاً على دفاعات المدينة من جميع الاتجاهات، وقد اندفع نحو أسوار المدينة وبهجومه تمكن من الوصول إلى مواقع لم يصلها الجيش العثماني فيما سبق حتى وقع صريعاً نتيجة إصابته بقذيفة فحزن عليه السلطان مراد الرابع

من ملاقاته والاضطراد به غير أنه استولى على مدن (خوي وتبريز) وكان ينوي مواصلة تقدمه باتجاه أصفهان غير أنه تراجع عن ذلك بسبب مرضه فعاد إلى ديار بكر ومن ثم إلى استانبول، وبعد عودة العثمانيون إلى بلادهم استعاد الصفويين مدينة (إيروان) بعد أن حاصروها مدة ثلاثة أشهر وسبعة أيام، وقتل الوزير مرتضى باشا في أثناء الحصار كما استعادوا مدينة تبريز والقسم الأكبر من أذربيجان، ثم زحف الشاه صفي باتجاه الجنوب فاضطدم بأحمد باشا حاكم بلاد الشام عند وادي (مهربان) فهزمت القوات العثمانية في هذه المعركة لعدم وصول المساعدات العسكرية لها من قبل القوات العثمانية المتمركزة في قارص⁽⁸⁶⁾.

ما أن وصلت أخبار انتصار القوات الصفوية على القوات العثمانية واسترجاعها للمناطق التي سبق أن سيطروا عليها إلى مسامع السلطان مراد الرابع حتى قرر أن يتجه على رأس حملة عسكرية كبيرة لكسر شوكة الصفويين وإذلالهم⁽⁸⁷⁾. فقد سار السلطان مراد الرابع باتجاه بغداد- على الرغم من المشاكل المعقدة التي كانت تعصف بالدولة العثمانية- فقد تمكن من القضاء على روح التسبب والفتنة في الدولة وتمكن من التخلص من الطغاة والعسكريين وتدعيم حكمه⁽⁸⁸⁾.

أشرفت الاستعدادات المتعلقة بالحملة على نهايتها في شباط 1638، إذ دفع الطوغ الهمايوني أمام (الجبخانة) دار صناعة الأسلحة في الثالث والعشرين من شباط كعلامة على بدأ تنفيذ الإعداد للحملة وبعد ذلك نقل الطوغ إلى مدينة (اسكدار) وكانت هذه الحملة تختلف عن الحملات السابقة إذ خطط لها تخطيطاً دقيقاً وقسم الطريق إلى عشرة ومئة مرحلة، وحدد أن تنطلق ابتداءً من (اسكدار)، وتحركت الحملة من هذه المدينة إلى

إلى إبرام معاهدة صلح بين الدولتين⁽⁹⁸⁾. ولكن هذه السفارات لم تؤدي في بادئ الأمر إلى أي نتيجة، إذ اشترط العثمانيون لعقد معاهدة الصلح انسحاب القوات الصفوية من مناطق (درته، ودرتنك) والاعتراف بتبعية قارص للدولة العثمانية، واضطر الشاه أخيراً أن يقبل بشروط الدولة العثمانية⁽⁹⁹⁾. فأمر الشاه صفي القوات الصفوية بالانسحاب من مناطق (درته ودرتنك) فتقدم على أثر ذلك الجيش العثماني نحو خانقين وفي موضع يقال له (زهاب) وصل المندوب الصفوي (صاروخان) في الرابع عشر من أيار عام 1639 حاملاً موافقة الشاه صفي على المطالب العثمانية واستعداد بلاده لإنهاء الخلافات بين الدولتين، وبعد اتفاق الطرفين تم التوقيع على المعاهدة في السابع عشر من أيار عام 1639، ثم جرى التصديق على المعاهدة من قبل الدولتين في السنة ذاتها وأصبحت نافذة المفعول منذ تاريخ توقيعها دون اعتراض من الجانبين ولفترة طويلة من الزمن⁽¹⁰⁰⁾.

نص الاتفاق أن تكون ولاية بغداد وجصان وبدرة و مندلي ودرنه كلها تابعة لولاية بغداد حتى موقع يسمى (سرمين) وما بينها من الأراضي وقبيلتي ضياء الدين وهاروني من عشائر الجاف الكردي والقرى الواقعة في غربي قلعة زنجي وقلعة ظالم قرب شهرزور وجميع الجبال المحيطة بهذه القلعة المؤدية إلى شهرزور وقلعة قزجة وتوابعها كل هذه المناطق تكون تحت سيطرة الدولة العثمانية فضلاً عن جميع القلاع والجبال الواقعة في (قارص، وأن، شهرزور، بغداد، البصرة) ولا يجوز للشاه التعرض لها⁽¹⁰¹⁾.

أما فيما يتعلق بالدولة الصفوية فإن الجهة الثانية من القلاع الواقعة بين (مندلجين ودرتنك) والمواقع بيره وزرد ويكه وزمردهاواو والقرى والقلاع

وأمر بدفنه بمقبرة الإمام الكاظم⁽⁹³⁾. ومن ثم قام السلطان بتعيين مصطفى باشا صدرًا أعظم فتولى قيادة الجيش العثماني وكثف من هجومه فانهارت في الخامس والعشرين من كانون الأول 1638 الدفاعات الصفوية أمام الهجوم العثماني ودخلت القوات العثمانية سور بغداد من جهة الباب الأبيض وباب الجسر معلنة انتصارها بعد حصار دام أربعين يوماً⁽⁹⁴⁾.

ونظراً للخلاف الذي حصل بين القادة الصفويين ومنهم خلف بك الذي عينه الشاه صفي قائداً للقوات المدافعة داخل بغداد وبكتاش خان حاكم بغداد، فالأول كان مصراً على القتال والاستمرار في الدفاع في حين أراد الثاني الاستسلام، وهذا جعل بكتاش خان يرسل استسلامه للصدر الأعظم وقد رحب به وتوجه بكتاش خان إلى مقر السلطان مراد الرابع الذي أحسن استقباله لما أبداه من شجاعة في القتال دفاعاً عن الموقع المكلف به وأعطى الأمان له ولجنوده وطلب منهم إلقاء السلاح والخروج وترك المدينة، فاستجاب قسم من الجنود الصفويين لذلك غير أن القسم الآخر أصر على القتال⁽⁹⁵⁾.

وكان من نتيجة ذلك أن قتل ما يقارب عشرون ألف جندي صفوي، كما حدث حريق في مخزن البارود في القلعة الداخلية أدى إلى مقتل أكثر من ثمان مئة جندي عثماني مما دفع العثمانيين إلى الانتقام، فأمر السلطان مراد الرابع بقتل جميع الصفويين في داخل بغداد وخارجها فتم قتل وسجن ألف و أربعمئة صفوي⁽⁹⁶⁾.

وبعد ذلك جنح الشاه صفي إلى الصلح مع الدولة العثمانية⁽⁹⁷⁾. إذ بعث بأكثر من سفارة إلى الصدر الأعظم مصطفى باشا الذي ظل في بغداد لينظم شؤونها طالباً الدخول في مفاوضات للتوصل

الثامن عشر بالاضطراب وكثرة الولاة، إذ حكم في الحقبة 1639-1704م تسعة وثلاثون والياً، لم يترك واحد منهم عند عزله أو نقله أثراً يذكر باستثناء أربعة، بنى أحدهم ثلاثة أبراج لسور بغداد وجامع الأزبك، وبنى الثاني جامع الخاصكي، وقام الثالث بتطهير نهر الدجيل، أما الرابع فبنى مدرسة قرب جامع القمرية.

وقد ساعدت سرعة تسفير الولاة على خلق حالة عدم الاستقرار، ومن المظاهر الأخرى بهذا العهد، كثرة تمردات الانكشارية واضطراب حالة الأمن خارج أسوار المدن، وأدى ذلك إلى نتائج اقتصادية سيئة في الزراعة والتجارة، ورافقت ذلك كثرة الأوبئة والفيضانات والقحط التي أسهمت في تعطيل الفعاليات البشرية⁽¹⁰⁶⁾.

بلغ التدهور الاقتصادي أعلى درجة سنة 1703م إذ أن علي باشا والي بغداد أرسل في طلب (400000)روبية لدفع رواتب الجند المحليين بين عجز خزانة الولاية. وقد ذكر بعض الرحالة الذين زاروا بغداد أمثال (تافريبييه) في منتصف القرن السابع عشر أن عدد الجوامع في بغداد كانت خمسة معظمها كانت غير جيدة، وأن الخانات التي كان عددها عشرة كلها كانت غير عامرة إلا اثنين، وأن المدينة من حيث الحكم العام غير عامرة وخالية من مظاهر الجمال عدا الأسواق المسقفة⁽¹⁰⁷⁾.

الواقعة في شرقي قلعة زنجير ومهريان وتوابعها تكون من نصيب الشاه، على أن لا تتدخل الدولة العثمانية في أمرها⁽¹⁰²⁾.

كما نصت المعاهدة على ان يحترم الصفويون الرموز الاسلامية وعدم التعرض لهم، وكذلك على أن لا تتدخل الدولة العثمانية في شؤون الدولة الصفوية، وأكدت على وجوب مراعاة العلاقات بين الدولتين⁽¹⁰³⁾. وتبين من دراسة معاهدة زهاب أن النفوذ الفارسي غربي جبال زاكروس قد زال وبقي في شرقيها فقط، وأنها عينت الحدود بين الدولتين على قاعدة مناطق حدود وليس على أساس خط للحدود وهو الخط الذي تبدأ به سيادة الدولة وتنتهي بسيادة دولة أخرى، وهذا ما يجعل المعاهدة وقتية ولا يمكن أن تحول دون قيام النزاع في المستقبل عندما تنهيا الفرصة، كما أن المعاهدة لم تتعرض بالتفصيل لطبيعة الحدود بين الدولتين في المنطقة الجنوبية من العراق وبخاصة منطقة عربستان⁽¹⁰⁴⁾.

وبالرغم من وجود بعض الثغرات في معاهدة زهاب فإنها تعد أكمل وأحدث وأكثر وضوحاً عما سبقتها من المعاهدات التي عقدت بين الدولتين واعتبرت فيما بعد أساساً للمعاهدات التي عقدت بين الدولتين⁽¹⁰⁵⁾.

ومما سبق يتضح لنا أن العلاقات الصفوية العثمانية في أواخر عهد الشاه صفي اتسمت بالهدوء والاستقرار النسبي وانصراف كلا الدولتين إلى إصلاح أوضاعها الداخلية بعد حروب دامت عقد من الزمن.

- الأحوال العامة :

تسببت سنوات الاحتلال الصفوي وحروب الاسترداد العثماني الكثير من الدمار والخراب في بغداد. وقد تميز تاريخ ولاية بغداد في أوائل القرن

المدينة وقام بمجزرة مروعة أدت إلى مقتل شاه سلطان حسين واتباعه المخلصين⁽¹¹⁰⁾، وعندما علم نادر خان بذلك توجه إلى أصفهان وبعد الانتصار على قوات أشرف في منطقة مورجه خورت قرب أصفهان وحاصر نادر أصفهان من جميع الجهات فتمكن من دخولها مع طهاسب ميرزا منتصراً، وهرب أشرف أمام قوات نادر خان، وقد لقي حتفه على يد قبيلة بلوش حيث أرسل إلى طهاسب سنة 1720 م. وبذلك انتهت سيطرة الأفغان على إيران إلى الأبد⁽¹¹¹⁾.

ادت هزيمة الأفغان وسقوط أصفهان، الى ان يوجه نادر اهتمامه صوب العثمانيين، الذين كانوا يسيطرون على مناطق واسعة من غرب إيران، فقام بمهاجمة الحامية العثمانية في نهاوند، واحتلال المدينة سنة 1730 م وهنا مضى ليستولي على جميع المدن الخاضعة لسيادة العثمانيين، وأهمها همدان و أردلان و كرمشاه، فضلاً عن مناطق الشمال وعاصمتها تبريز. ولم يحل انتصار العثمانيين المؤقت على قوات الشاه سنة 1731 م دون مضي نادر في سياسته العسكرية، و أنكر المعاهدة الموقعة بين الطرفين الصفوي والعثماني، وعين نفسه وصياً على الشاه الطفل عباس ميرزا بعد أن اياه. طهاسب عن العرش وتسلم مقاليد السلطة الفعلية في البلاد. وسرعان ما كشفت أعمال نادر عن حقيقة نواياه التوسعية وأطماعه الرامية نحو احتلال العراق والسيطرة على مقدراته السياسية والاقتصادية، متذرعاً بعلل واهية، كلما أعوزته الظروف ذلك، ففي شهر خريف 1732 م بدأ نادر شاه زحفه من العاصمة أصفهان باتجاه الحدود العراقية، وبعث برسالة إلى أحمد باشا يتوعده فيها وينذره بأنه زاحف نحو بغداد لاحتلالها حيث خاطبة قائلاً: «نحن سائرون حالاً على راس جيشنا المظفر سهول

المبحث الثالث

الصراع العثماني الفارسي (1726 - 1779)

● نادر شاه والصراع العثماني الفارسي 1726 - 1750 :

● كريم خان الزند والصراع مع العثمانيين (1750 - 1779)

عاد العراق منذ العقد الرابع من القرن الثامن عشر، إلى ميدان النزاع المسلح بين العثمانيين والفرس، وتعرضت مدنه باستمرار لعدوان قوات الطرفين اللذين توالى غزوهما للعراق، فقد غزته قوات الإيرانيين بقيادة نادر قلي الذي عرف فيما بعد (بنادر شاه)⁽¹⁰⁶⁾ وكان ظهور هذا القائد في إيران إيذاناً بتحويلات عسكرية وسياسية مهمة في المنطقة، عانى منها العراق والخليج العربي الكثير، فلقد استطاع هذا القائد المغامر الذي ينتمي إلى قبيلة أفشار التركمانية أن يستغل الفوضى والتمزق الذي ساد إيران أثر الغزو الأفغاني والروسي والعثماني⁽¹⁰⁷⁾، ليوسع من نفوذه بصفته زعيماً لقبيلته من ناحية، وعلى إحدى مدن خراسان من ناحية أخرى مما دفع بالشاه طهاسب مرزا⁽¹⁰⁸⁾ المدعي بالعرش الصفوي إلى أن يكسبه إلى جانبه. ويلحقه بخدمته كأحد أخص قاداته.

استطاع نادر أن يستفيد من إضفاء روح الشرعية على أعماله من قبل المدعي بالعرش، فادعى أنه إنما يتوسع باسم سيده، فضم على هذا النحو خراسان وبلاد الأفغان، مما دعا بالشاه طهاسب إلى أن يرقيه ليكون قائداً عاماً لقواته، مانحاً إياه لقب « طهاسب قولي خان »⁽¹⁰⁹⁾ أي عبد الشاه وتمكن نادر بعد هذا من إلحاق الهزيمة بقوات الأفغانين التي كان يتزعمها أشرف خان، وقد هرب أشرف مع فلول قواته المنهزمة صوب أصفهان ودخل

التي فشلت كما سبق في دخول المدينة⁽¹¹⁶⁾. وكذلك تمكن حسين باشا الجليلي من صد قوات نادر شاه التي أرسلها لاستكشاف أمر الموصل فانضمت تلك القوة إلى الجيش التي اوكلت اليها مهمة فتح جنوب العراق أما القوة الرئيسية لجيش إيران بقيادة نادر خان فقد واصلت زحفها نحو بغداد وسارت القوات النادرية نحو شهربان وخاضت معركة ضد الأتراك هناك ومزقت قواتهم التي كان عددها يبلغ 12 ألف مقاتل، وخرقت صفوفها وفي المرحلة التالية من المعركة تحرك بقواته نحو مدينة بغداد في أواخر كانون الأول 1732 م حيث بدأ في فرض حصار على الجانب الشرقي من بغداد واستعان بمهندس كان يرافقه في حملته في إنشاء جسر عائم من جذوع النخيل على بعد عدة أميال من شمال بغداد، وذلك لتمكين القوات الإيرانية من العبور إلى الجانب الأيمن من نهر دجلة، آنذاك أمر أحمد باشا سكان جانب الكرخ بالانسحاب العام إلى الرصافة ليكونوا في حماية سورها المنيع⁽¹¹⁷⁾، وفي أثناء ذلك كانت أرتال من القوات الفارسية قد بعثها نادر لاحتلال سامراء والحلة وكربلاء والنجف والحسكة. وعلى الرغم من الضيق الذي أصبح عليه السكان في بغداد بسبب الحصار الشديد الذي فرضه عليه نادر، إذ أخذت ويلات المجاعة تأخذ شكلاً بشعاً فإنهم أصروا على المقاومة⁽¹¹⁸⁾. ووصلت الحال بأهالي بغداد إلى أن أكلوا لحوم الحمير والكلاب والقطط، وقد بلغت الحال كما يصفها السويدي وهو أقرب المصادر وأكثرها صحة لأنه عاصر الأحداث⁽¹¹⁹⁾ فقد شاهد جماعة من السكان يصطادون الكلاب في الأزقة ويأكلونها، وهجم السكان على طعام الوالي و أكلوه مما جعل الوالي يبكي لحالهم. ويروي السويدي أيضاً أنه خلال خروجه من مسجد

بغداد العليل ولنستريح في ظل أسوارها⁽¹¹²⁾. وقال كذلك: « يكن معلوماً أننا نطالب بزيارة قبور الأئمة علي والحسين والعباس وموسى الكاظم (عليه السلام) ونطالب بجميع الإيرانيين الذين أسروا في الحرب الأخيرة⁽¹¹³⁾ ».

سارع أحمد باشا بتحسين مواقع الحدود في درنه ومنديلي ويوره وعزز حامياته في زهاياه وقعر يشرشا ثم أصلح مراكز الدفاع الموجودة في سور بغداد⁽¹¹⁴⁾.

تحشدت قوات نادر شاه في همدان وتجمع لديه قوة تقدر بمئة ألف مقاتل فسار بهذه القوات إلى كرمشاه ودخلها بسهولة لأن حاميتها لم تقو على الصمود، وبعد أن ترك مدافعه الثقيلة وأمتعته في دشت (مايدشت) تقدم صوب زهاو وتمكن بسهولة من تدمير قوات أحمد باشا وتسخير قلعته المحكمة في زهاو وبعد هذا الانتصار عبرت قواته الحدود العراقية وانضم إلى قواته لطف علي بك نائب حكومة أذربيجان، ودخلت القوات الإيرانية إلى قلا جولان قرب السليمانية الحالية⁽¹¹⁵⁾.

واجهت القوات الإيرانية التي كانت تقدر بمائة ألف جندي مقاومة عنيفة خلال توغلها في الأراضي العراقية أجبرتها على التقهقر في عدة مناطق، وكانت تلك القوات قد توزعت عند دخولها الأراضي العراقية ضمن عدة محاور، فتقدم قسم منها باتجاه كركوك و أربيل وقسم باتجاه الموصل، في حين كانت القوة الرئيسية تواصل زحفها نحو بغداد، وقد اضطرت القوات الإيرانية في محوري كركوك و أربيل والموصل إلى التقهقر بعد أن تكبدت خسائر فادحة وقتل قائد القوات المهاجمة للموصل. وقد قامت تلك القوات بأعمال تخريبية بمدينة كركوك والقرى التابعة لها. وكان لحسين باشا الجليلي دور مهم وبارز في قيادة المقاومة ضد القوات النادرية

من ناحية كركوك و أربيل لكنها لم تحقق نجاحاً بين المقاومة التي أبدأها الشعب، ثم دارت معركة حامية في 24 تشرين الأول 1733 عند مضيف (اف دربند)، اسفرت عن تكييد الطرفين خسائر فادحة، وقد اضطر نادر شاه إلى طلب الصلح لا سيما أنه تلقى أخباراً عن تفاقم الاضطرابات في مختلف أنحاء إيران، وقيام أحمد خان بلوج حاكم إقليم فارس بثورة للإطاحة بحكمه⁽¹²³⁾.

وبعد مفاوضات استمرت أكثر من أسبوع، عقدت معاهدة صلح في 19 كانون الأول 1733 معادت فيها الحدود بين الدولتين كما خططتها معاهدة زهاب سنة 1639.

بعد أن استطاع نادر شاه من تصفية المعارضة في داخل إيران سيعود مرة أخرى إلى الصراع مع العثمانيين ولاسيما أنه كان ينوي تصفية حساباته مع الوالي طوبال باشا. وقد كانت لدى نادر شاه معلومات تفيد بأن الوالي قد سرح قسماً من جيشه، كذلك كانت الحالة في بغداد تزداد سوءاً بسبب ارتفاع الأسعار، مما شجع نادر لأجل بدأ الهجوم والسيطرة على العراق في 26 تشرين الأول من عام 1734 نشبت معركة عنيفة في منطقة ليلان قرب كركوك بين الطرفين وبعد حرب دامية وقاسية قتل طوبان باشا في ساحة المعركة وتشتت شمل جيشه وحزَّ أحد الجنود الإيرانيين رأسه وأمر نادر بإحضار جثته ووضع الرأس على الجثة ووقف بخشوع أمام جثته بكل احترام، ثم أرسل جثمانه بمعية قاضي الجيش العثماني عبد الكريم أفندي مع كوكبة من الفرسان إلى بغداد.

عندما وصل نبأ مقتل عثمان باشا إلى بغداد ساد الهلع فيها وارتفعت أسعار المواد الغذائية وغيرها، و أراد أحمد باشا أن يتجنب الخطأ الذي تورط فيه سابقاً فأرسل المنادين ينادون في الأسواق

الشيخ عبد القادر الكيلاني بعد انقضاء صلاة الجمعة متجهاً نحو منزله شاهد امرأة ذات جمال وهي منكبة على جيفه حمار ويدها سكين تقطع منه وتضعه في حجرها ولما سألها عن السبب قالت: إنها منذ خمسة أيام لم يدخل في جوفها شيء عدا الماء⁽¹²⁰⁾، وبالرغم من ذلك فإن القيادة الإيرانية حين دعت بغداد للاستلام، تلقت خطاباً شديداً من وجهائها وعلماؤها جاء فيه: « نحن لا نسلم حجراً من أحجار بغداد حتى نصير في مكاننا هذا، وان ذخيرتنا كافية، وموادنا كثيرة العدد متواصلة المدد، ولم يكن موقفنا من مناوشتكم في بعض الأيام دون حكمة، ويعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ». وفي 19 تموز 1733 م وصلت القوات العثمانية بقيادة طوبال باشا⁽¹²¹⁾ لإنقاذ بغداد من حصار نادر شاه ووقعت معركة شديدة بين الطرفين قرب بلد (الجيل) واستمرت تسع ساعات متواصلة وانتهت بهزيمة ساحقة للإيرانيين وتكبيدهم خسائر فادحة في الأرواح تقدر بثلاثين ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير وجرح نادر نفسه في هذه المعركة وفقد أثناء القتال حامل لوائه وقتل فرسان من تحته. ويذكر محمد شفيق تهران أن نادر خان وقع من حصانه ثلاث مرات وأعطاه أحد جنوده في طريق حربه فرسه الخاص حتى يتخلص من المهلكة⁽¹²²⁾، إذ هرب نادر مع فلول جنوده المنهزمة عن طريق بهرز باتجاه الأراضي الإيرانية. ويقال بأن الغنائم التي جمعت من المعركة، تكفي لتحصين وتسليح مدينة جديدة. أما بغداد التي مضى على حصارها سبعة شهور، فإن حاميتها قامت عند وصول أنباء الانتصار بمهاجمة القوة الإيرانية عند أسوارها، فقتل معظم أفرادها وهرب الباقون. ولم تكن هذه نهاية الاعتداءات الإيرانية حيث واصل الفرس تحرشهم بالأراضي العراقية

3. يجب أن يتم مبادلة الأسرى بين الدولتين العثمانية والإيرانية.

4. يجب تعيين سفيرين في عاصمة الدولتين.

وبعد الموافقة على مطلبه هذا توج نادر (شاهاً) على إيران في 8 آذار 1736. ومن الجدير بالذكر أنه حاول خلال المفاوضات التي جرت مع العثمانيين وانتهت بعقد معاهدة القسطنطينية، الحصول على اعتراف السلطان العثماني بالمذهب الجعفري مذهباً خامساً من مذاهب أهل السنة وتخصيص ركن في الكعبة له شأنه شأن المذاهب الأربعة الأخرى، لكن السلطان العثماني رفض ذلك. وقد اختلفت آراء المؤرخين في دوافع نادر شاه بهذا الصدد بين قائل إنه كان يهدف إلى إحداث تميؤه⁽¹²⁷⁾ وقائل أن غرضه كان سياسياً من وراء ذلك. فقد أراد إرضاء جيشه الذي يتألف من التركمان والأكراد والأفغان، وأن يسهل عملية ضم الهند وأفغانستان والدولة العثمانية إلى إمبراطوريته، وأن يمحو من الأذهان أي ذكر للأسرة الصفوية⁽¹²⁸⁾.

وإنه كان يحلم في توحيد العالم الإسلامي في إمبراطورية يتولى حكمها. وأنه كان يريد أن يكون له مبرر ادعاء القيادة على العالم الإسلامي في مواجهة العثمانيين من جهة وإمبراطورية المغول من جهة أخرى. وعلى أية حال لم يحقق بهذه المحاولة النجاح، فقد رفض العثمانيون مطالب نادر شاه بهذا الصدد. كما أنه لم يحقق نجاحاً يذكر في تحويل الإيرانيين إلى المذهب الجديد. ويبدو أن النبلاء والأعيان كانوا أكثر تفهماً للأهداف السياسية وراء هذه الفكرة المذهبية الجديدة فوافقوا على ما ذهب إليه، كما أن بعضهم كان يخشى معارضته في هذا الأمر عندما كان في أوج قوته⁽¹²⁹⁾.

عادت الحرب من جديد بين نادر شاه والعثمانيين للمرة الثالثة عام 1741 م بعد أن قصد

والشوارع، ويأمرون من لا يستطيع البقاء في المدينة أن يخرج منها فخرج الكثيرون من بغداد ووقع عدد كبير منهم بأيدي الجيش الإيراني الذي بادر إلى قتل وأسّر أعداد منهم⁽¹²⁴⁾.

طلب نادر شاه من بعض قواته المرابطة في سامراء بقيادة حاكم لورتان بابا خان بالاستيلاء على المؤن المهمة في جنوب العراق مثل الحلة والنجف وكربلاء ومنع إيصال المؤن إلى القوات العثمانية المتبعثرة بعد هزيمتها، وقد أطبق نادر شاه بقواته الرئيسية على بغداد وحاصرها، لكن هذه المرة انسحب منها بسبب وصول أنباء عن حدوث تمردات داخل إيران وقد وقع معاهدة مع أحمد باشا. وأغلب الظن أن تلك الاتفاقية التي أبرمها مع أحمد باشا والي بغداد في 19 كانون الأول 1733 م التي نصت على تعهد الدولة بإرجاع جميع الأراضي الإيرانية التي سيطرت عليها الدولة العثمانية خلال عشر سنوات مضت، والاعتراف بالحدود الرسمية بين الدولتين بحسب معاهدة عام 1639 وتبادل الأسرى والأعتدة بين الدولتين وتسهيل أمر الحجاج الإيرانيين الرامين إلى زيارة الأماكن المقدسة في الدولة العثمانية⁽¹²⁵⁾.

- تتويج نادر شاه 1734 م:

بعد أن حقق نادر شاه كل هذه الانتصارات لإيران، عسكر جيشه على شاطئ نهر ارس في عام 1736 م وجمع وجهاء وعظماء الدولة ليتدارسوا أمر العرش، إذ لم يعد طهمااسب ولا ابنه يصلحان لذلك فقدر المجتمعون منح التاج لنادر الأفشاري. فاشترط لقبول ذلك ما يأتي⁽¹²⁶⁾:

1. يجب على الإيرانيين عند زيارتهم لمكة المكرمة أن يتخذوا لانتفهم ناحية خاصة بهم.
2. يجب أن يعين في كل عام أميراً للحج الإيراني.

دافع أهالي الموصل عن بلدتهم بقيادة الحاج حسين باشا الجليلي خير دفاع. ويقول المؤرخون أن الشظايا المتطايرة كانت تظلم السماء في النهار وتثيرها في الليل وقد زهقت نفوس كثيرة وتبددت أموال وفيرة. إلا أن ذلك لم يؤثر في صمود أهالي الموصل والدفاع عن مدينتهم⁽¹³⁴⁾.

بعد أن وجد نادر شاه ثبات أهل الموصل وصمودهم، وتكبد قواته الكثير من الخسائر ونفاذ مؤنه، يئس من الاستيلاء على المدينة، و أدرك عدم جدوى القتال، فاضطر إلى أن يطلب الصلح ويذكر نيور، أن حصار الموصل أظهر أن الإيرانيين لا يحسنون فن المدفعية، وإنيهم لا يعرفون شيئاً عن فنون حصار القلاع.

وفي 22 تشرين الأول 1743 م، انسحب نادر شاه بقواته إلى الوسط بعد حصار للموصل الذي دام (40) يوماً، إذ تعرضت خلالها قرى الموصل إلى التخريب بشكل ليس له نظير على يد القوات الإيرانية، كما نهبت وأحرقت أديرة عديدة⁽¹³⁵⁾.

وبعد ذلك اضطر نادر شاه على أثر المقاومة الشجاعة لأهل المدينة على قبول الصلح، فاستقبل وفد الموصل المتكون من قاضي الموصل وعلي أفندي مفتي الشافعية بحفاوة بالغة،

وأثنى على أهل الموصل فتم الصلح بين الطرفين وتبادل الهدايا وكانت هدية الحاج حسين الجليلي إلى نادر شاه ثمانية رؤوس من جياذ الخيل⁽¹³⁶⁾.

عندما تم عقد الصلح مع أهالي الموصل توجه بجيوشه صوب بغداد فانتشر الرعب والخوف، واستعد أحمد باشا للحصار ولكن نادر شاه وبعد وصوله إلى الكاظمية أرسل رسولاً إلى أحمد باشا يطمئنه بأنه يسعى إلى اللفظة العثمانية الصلح مع الدولة العثمانية، ثم جرت مفاوضات بين الرجلين، ثم زار نادر شاه ضريحي موسى الكاظم

سفراء إيرانيون الباب العالي طالبين الاعتراف الرسمي بالمذهب الجعفري بوصفه مذهباً خامساً في الإسلام⁽¹³⁰⁾ ولما وصل هذا الخبر والجواب إلى نادر شاه اتخذ ذريعة إعلان الحرب على الدولة العثمانية، وسرعان ما توجهت جيوشه نحو العراق وعبر الحدود بالقرب من مندلي وشهرزور وحاصر حصونها، بالمقابل لم يكن والي بغداد أحمد باشا يرغب باستئناف حرب جديدة مع الإيرانيين. مما يلفت النظر أن نادر شاه حينما غزا في هذه المرة لم يمثل ببغداد و أرسل إلى واليها أحمد باشا رسالة ورد فيها أنه يريد النقاش وفتح باب الحوار معهم بتفاهم ولن يسمح لجيشه أن يقوم بعدوان على بغداد وأطرافها، وأن هدفه الوحيد هو الاستيلاء على الأماكن التي لا تخضع له، وأنه يمضي في انتصاراته في أراضي السلطان الكبير ولأنه صديقه فهو يسأله ابنه من بناته ليتزوجها وخمسة أشخاص رهائن، واستجابة لطلبه سمح أحمد باشا أن تستولي القوات النادرية على جميع مزارع منطقة بغداد وضواحيها وكان الوقت موسم الحصاد ليمون بها جيوشه⁽¹³¹⁾. على الرغم من محاولة نادر شاه اقناع أحمد باشا بتسليم بغداد، لكنه لم يلبي طلبه وأشار على نادر شاه التوجه إلى الموصل⁽¹³²⁾.

بعد ذلك توجه نادر شاه نحو المناطق الشمالية، إذ قصد قلعة كركوك وتم له الاستيلاء عليها وعاث فيها فساداً وقتل المدافعين عنها وتوجه بعد ذلك للاستيلاء على قلعة أربيل العالية فاستسلم أهلها بعد أربع ساعات من القصف المدفعي فسيطر نادر شاه عليها وأضاف بعض رجالها إلى جنوده بعد أن عبث بالبلدة وأموالها⁽¹³³⁾، بعد احتلال أربيل توجه نادر أيضاً إلى الموصل وحاصرها من كل الجوانب وجعل المنطقة القريبة من مقبرة النبي يونس (عليه السلام) مقر القيادة. ودام الحصار اثنين وأربعين يوماً، وقد

وطد نادر شاه العزم على تنفيذ خطته وبذل قصارى جهده في سبيل ذلك، والظاهر أنه وجد في الإمام جعفر الصادق رحمه الله الذي يصلح أن يكون رمزاً للتقرب بين السنة والشيعة، فقد كان الإمام يعيش في العصر نفسه الذي عاش فيه مالك وأبو حنيفة رحمهما الله وهما من كبار أئمة السنة والمعروف عنهما أنها كانا يجلانها كل الإجلال، وكان الإمام جعفر الصادق فضلاً عن ذلك ينتمي إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) من جهة أبيه وإلى أبي بكر الصديق (عليه السلام) من جهة أمه وجدته، والمأثور عنه أنه كان يعلن للناس قائلاً: ولدي أبو بكر مرتين وذلك كي يرد الغلاة الذين اعتادوا على سب أبو بكر وصاحبه عمر (عليه السلام)، فأخذ نادر شاه يقسر الإيرانيين ويجبرهم بالقوة على ترك ما كان الصفويون قد أحدثوه من عادات سيئة وطقوس طائفية، وما يثير الحقد والكرهية بين المسلمين⁽¹³⁹⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن نادر شاه نفسه لم يكن متعصباً لطائفة معينة. ويروى أنه جمع ممثلين الأديان المختلفة عام 1741 م في مؤتمر النجف⁽¹⁴⁰⁾ وأمرهم بالدخول في نقاش لأجل تقريب وجهات النظر بين المذاهب الإسلامية، وبعد الجدل والنقاش الطويل لم يصلوا إلى نتيجة تذكر، تمالك نادر شاه الغضب الشديد وقال

قولته المشهورة: « إذا كان الله واحداً فالأديان بالضرورة يجب أن تكون واحدة أيضاً »⁽¹⁴¹⁾. يصف محيي الدين الخطيب المؤتمر بقوله: « أعظم مؤتمر عقد بتاريخ المسلمين للتفاهم بين السنة والشيعة » وقال أيضاً « كان الأول من نوعه في المجتمع الاسلامي »⁽¹⁴²⁾.

1. أما أهم البنود التي خرج بها المؤتمر فهي ثلاث⁽¹⁴³⁾:
1. إن أهل إيران تبنا المذهب الجعفري الذي هو من المذاهب الحقة.

ومحمد الجواد ثم عبر نهر دجلة في قارب، وزار قبر الإمام أبو حنيفة النعمان (عليه السلام)، ثم توجه بعد ذلك إلى النجف لزيارة ضريح الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وليحقق ما يصبوا إليه من جعل المذهب الجعفري مذهباً خامساً في الإسلام. وقد تم عقد معاهدة نصت على ما يأتي⁽¹³⁷⁾:

1. تكون الحدود بين الدولتين كما كانت سنة 1639. وحيث ما تم الاتفاق عليه في معاهدة زهاب بين السلطان مراد الرابع والشاه صفي.
2. يتمتع الطرفان فيما بعد من القيام بأي عمل عدائي ضد الطرف الآخر.
3. يلتزم الولاة العثمانيين بتأمين انتقال الحجاج الإيرانيين من مكان إلى آخر.
4. يرسل الطرفان سفراء ليعيشوا في عاصمتي البلدين على نفقه البلد المضيف.
5. عدم إجبار البلدين على دفع رسوم غير قانونية.

- نادر شاه ومؤتمر النجف:

سعى نادر شاه في سنواته الأخيرة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية من الشيعة وأهل السنة والجماعة، وذلك من خلال جعل المذهب الجعفري مذهباً خامساً إلى جوار المذاهب السنية الأربعة ليكون بديلاً عن الأثنى عشرية، وقد أراد نادر شاه من هذا الأمر توحيد العالم الإسلامي ورفع الاختلافات بينهما، ليتسنى له بناء إمبراطوريته بعد أن يتم القضاء على الدولة العثمانية التي عدت امتداداً شرعياً للخلافة الإسلامية ويبني على انقاضها دولة إسلامية كبرى تجمع السنة والشيعة معاً، وبعمله هذا سوف يضمن بجانبه تأييد الفرس والأفغان والأوزبك والأكراد والتركماني وسائر القوميات الأخرى إلى دولته الإسلامية الجديدة⁽¹³⁸⁾.

سنة 1747 م⁽¹⁴⁴⁾ الذي كان إيذاناً بانتشار الفوضى في جميع أرجاء البلاد، إذ بدأت صراعات دموية على العرش، مما أدى إلى إبعاد خطر الإيرانيين عن العراق قرابة العشر سنوات.

- الصراع العثماني الإيراني في عهد كريم خان الزند: (1750 - 1779)

لم يشهد عهد كريم خان⁽¹⁴⁵⁾ نشاطاً عسكرياً ملحوظاً مثل عهد سلفه نادر شاه. وإذا ما استثنينا حملاته العسكرية ضد منافسيه إبان الصراع على السلطة 1750 - 1759 م وحملاته لإخضاع قبيلة كعب في منطقة الأحواز⁽¹⁴⁶⁾ سنة 1757 م و 1765 م، فإن العمل العسكري المهم الوحيد تمثل في غزو البصرة سنة 1775 م.

واختلق كريم خان حجة المعاملة السيئة للولادة والحكام العثمانيين وعلى رأسهم عمر باشا والي بغداد للحجاج والزوار الإيرانيين وسيلة لإعلان الحرب، فقد كتب عام 1764 م رسالة إلى السلطان العثماني مصطفى الثالث طالباً منه إعدام عمر باشا لإساءته المعاملة مع الزوار الإيرانيين⁽¹⁴⁷⁾.

لكن السلطان لم يرد على الرسالة فقرر كريم خان تحشيد الجيوش للاستيلاء على البصرة، وقبل وصول القوات الإيرانية البصرة توفي السلطان مصطفى الثالث وخلفه أخوه عبد الحميد الأول 1774 - 1788 م. الذي اذعن بدوره لطلب كريم خان وأمر بقتل عمر باشا وإرسال رأسه إلى شيراز لتفادي الحرب بين الدولتين العثمانية والإيرانية، وطلب من كريم خان الزند سحب قواته من مشارف البصرة، وقد عد كريم خان هذا التصرف العثماني دليلاً ساطعاً على الضعف الشديد للدولة العثمانية، وقرر الاستيلاء على البصرة فأوكل قياده جيشه لأخيه صادق خان، وأمر بالزحف على

2. إن الأركان الأربعة من الكعبة المعظمة في المسجد التي تتعلق بالمذاهب الأربعة يشاركونهم المذهب الجعفري في الركن الشامي بعد فراغ الإمام فيه من الصلاة يصلون بإمامهم على الطريقة الجعفرية.

3. في كل سنة يعين من حكومة إيران أمير للحجاج الإيرانيين.

4. يعين وكيان في الدولتين من قبل السلطتين لأجل القيام بمصالح المملكتين .

بعد انعقاد هذا المؤتمر منقبة عظيمة لنادر شاه، ولذا قال عن نفسه: (كم جهز العثمانيون من العساكر ليرفعوا سب الصحابة ولم يوفقوا اليه وأنا والله الحمد رفعتة بسهولة). وعلى الرغم من أهمية هذا المؤتمر وعظمته فإنه لم يكتب له النجاح ولم يكن موضع تأييد الإيرانيين والقائمين في الدولة العثمانية. كذلك شهدت سنة 1744 م اندلاع الحرب من جديد بين الدولتين مما أدى إلى فشل المؤتمر. كذلك شهدت إيران سنة 1747 م حادثه مقتل نادر شاه لتنتهي به فتره مهمة من تاريخ إيران عاشت في ظل شخص استطاع أن يوحدّها ويجعل منها دولة كبيرة.

إن فشل حصار نادر شاه لمدينة الموصل وحروبه الطويلة في أرض العراق، حرمة من الاستفادة من عامل الزمن وباقي خططه، فقد استغرقت عملياته في العراق من الوقت ما ضيع عليه تحقيق انتصارات عسكرية سريعة تعزز مكانته لدى قاداته وشعبه، وهو أمر سرعان ما أثار مزيداً من السخط والتذمر بين اتباعه، وأظهر معالم التمرد والثورة في بلاده، هذا بالإضافة إلى إفساحه المجال أمام العثمانيين للتحرك ضده أو نجاحهم في مناطق التخوم التقليدية في شرق الأناضول. وقد أدى انشغال إيران بمشاكلها الداخلية على أثر مصرع نادر شاه في

باحتلال البصرة- الهدف المقصود من شن الهجوم على العراق- لذلك ما أن بدأت القوات الإيرانية بمحاصرة البصرة حتى أصدرت القيادة الإيرانية أوامرها إلى قواتها في جهة العراق الشمالية بالانسحاب إلى داخل الحدود العراقية⁽¹⁵¹⁾.

بعد أن صمدت البصرة أكثر من عام كامل دخلت القوات الإيرانية البصرة وكانت مؤلفة من ستة آلاف مقاتل وبعد خمسة أيام دخل صادق خان تصحبه قوات كبيرة أحدثت الفوضى وهي تبحث عن مساكن تنزل بها، الأمر الذي أرغم العديد من السكان على إخلاء بيوتهم ومغادرتها. ولم يحترم الإيرانيون تعهدهم بعدم التعرض للسكان أو ممتلكاتهم، فأذوا السكان واستباحوا الحرمات، واعتقلوا المسلم ورجال حكومته وكذلك وجوه و أعيان البصرة، وأرسلوهم جميعاً أسرى إلى العاصمة شيراز⁽¹⁵²⁾. وحين تلقى كريم خان أخبار احتلال البصرة، أصدر أوامره بختم البيوت المهجورة وتقديم قائمة كاملة بها، ويبدو أن الغرض من ذلك هو حصر الأموال والغنائم التي استولت عليها قواته. كما طلب وصفاً تفصيلياً وواضحاً للبلاد الممتدة من البصرة باتجاه مسقط. وهكذا فإن تعليمات كريم خان الأخيرة تعكس أطماع إيران في منطقة الخليج العربي، وتؤيد ادعاءاته ومبرراته لغزو البصرة⁽¹⁵³⁾. وعلى أية حال فقد استمر الاحتلال الإيراني للبصرة حوالي ثلاث سنوات حتى وفاة كريم خان الزند في آذار عام 1779 م وانسحاب صادق خان قواته منها بعد نشوب الحرب الأهلية والصراع على السلطة في إيران ويقول الكولونيل جيمس كابر، الذي وصل البصرة في 18 كانون الاول 1778، أنه وجد المدينة يخيم عليها الوجوم، حتى قيل له أن عدد سكانها لا يزيد على ستة آلاف

البصرة وحاصرها بالقوات الإيرانية حصاراً شديداً بعد عبوره شط العرب سنة 1776 م، فقد حمل لواء الدفاع عن البصرة مستلمها المدعو سليمان أغا الذي كان على جانب كبير من المقدرة والشجاعة والذي عرف فيما بعد بسليمان باشا الكبير فتفانى البصريون في الدفاع عن مدينتهم واستنجدوا بكافة القوى التي كانت مستعدة للتعاون معهم فجاءتهم الإمدادات البحرية من مسقط، واستبسل المدافعون حتى استنفذوا طاقتهم وحتى أتاهم الخبر اليقين بأن بغداد لن تمد يد العون إليهم في الدفاع عن ميناء العراق⁽¹⁴⁸⁾.

كانت الضربة القاصمة لقوى الدفاع عن المدينة قد جاءت على يد المقيم البريطاني في البصرة، فعندما اشتد حصار الإيرانيين للمدينة أثر المقيم البريطاني هناك أن ينسحب فجأة، وأن يتفق مع الإيرانيين ففتح الطريق أمام القوات الإيرانية المهاجمة ودخلت البصرة سنة 1776 م بعد حصار طويل استمر ثلاثة عشر شهراً ذاق الأهلون البؤس والشقاء نتيجة الحصار الطويل، ولم يكن لدى الدولة العثمانية في تلك المرحلة إمكانية لمساعدة واليها على العراق لإنقاذ البصرة من هجوم الإيرانيين⁽¹⁴⁹⁾ لأن الدولة العثمانية كانت مشغولة بحرب شرسة مع جيوش قيصرية روسيا الطموحة (كاترينا الثالثة)، كذلك انتشار الأمراض والاضطرابات العشائرية وسوء الحالة الأمنية، وأمام هذه الحالة الوخيمة كان من الطبيعي أن تنهار المقاومة.

كذلك أرسل كريم خان قوات إيرانية أخرى يقدر عددها بعشرين ألف قد عبرت حدود العراق الشمالية واحتلت عدة مواقع مهمة، وأخذت تتقدم باتجاه محور كركوك - أربيل⁽¹⁵⁰⁾ وكان الهدف من هذه الخطة العسكرية دفع العراق لأن يحارب على عدة جبهات مما يسهل مهمة القوات المتقدمة

الخاتمة

اتسمت العلاقات العثمانية الفارسية بعدم الاستقرار وبالنزاع المستمر نتيجة لاستمرار التجاوزات الفارسية على حدود الدولة العثمانية ولاسيما في أراضي العراق الجنوبية والشمالية. وقد استمر النزاع بين الدولتين على أراضي العراق قروناً طويلة مما أدى إلى الإضرار بمصالح الشعب العراقي، وقد صاحب هذا النزاع عقد عدد من المعاهدات لأجل إحلال الصلح والسلام بين الدولتين. وهذا يفسر بلا شك اتجاهات السياسة الفارسية في الاستيلاء والتوسع كلما سنحت الفرصة.

وعلى الرغم من كثرة المعاهدات المعقودة قبل معاهدة زهاب سنة 1639 إلا أنها تُعدّ أوضح وثيقة دولية حتى تاريخها في وصف الحدود بين الدولتين. اعترفت فيها السلطات الفارسية بعائدية العراق للدولة العثمانية، والحق أنها تُعد حجر الأساس في تحديد الحدود بين الدولتين.

ومن خلال هذه الدراسة يتضح أن الدولة الفارسية لم تكن جادة في تنفيذ بنود تلك المعاهدات. وقد تميزت العلاقات العثمانية الصفوية بعد توقيع معاهدة زهاب بالهدوء والاستقرار النسبي، واتصفت بأنها علاقات حسنة. ويرجع ذلك لضعف شخصية الشاهات وعدم امتلاكهم القدرة على إدارة دفة الحكم، واعتمادها على الأمراء الضعفاء الذين لا يملكون الحكمة والخبرة الإدارية. أما الدولة العثمانية فقد انشغلت في هذه المرحلة بحروبها مع الدول الأوروبية مما جعلها تتعد عن الصدام مع الدولة الصفوية.

إن حالة الهدوء هذه لم تستمر طويلاً، إذ شهدت بلاد فارس ظهور شخصية قوية متمثلة بشخصية

نسمة بما فيهم القوات الإيرانية، والشوارع الرئيسة أشبه بالمدافن.

وتصف المقيمة البريطانية في البصرة في تقرير لها عن تجارة بلاد العرب وإيران، الحالة التي أصبحت عليها هذه المدينة في ظل الاحتلال الإيراني فتقول: «لقد تلقت تجارة البصرة أكبر ضرر من جراء الظلم الغاشم والابتزاز الذي قام به الفرس، ومن فرار كثير من أغنياء التجار نتيجة لذلك وفرار قسم كبير من سكانها الآخرين ومن حمل الفرس بكميات ضخمة من النقد إلى بلدهم وكانت البصرة في عامي 1779، 1780م تبدو قرية كبيرة، لامدينة غنية ناشطة مكتظة بالسكان، ولا ميناءً بحرياً مزدهراً، وكانت تزدهر من قبل بأنها أحق المدن بذلك اللقب دون منازع»⁽¹⁵⁴⁾. (أرى أن العبارات ركيكة جداً وغير مترابطة وبحاجة إلى إعادة صياغة)، ومهما يكن من أمر فإن البصرة استطاعت أن تسترد مكانتها وتعود إلى ما كانت عليه من الازدهار الاقتصادي، حيث يذكر تقرير المقيمة البريطانية أن المدينة أخذت بالانتعاش فازداد عدد السكان تدريجياً وعاد إليها التجار الذين هجروها أيام الاحتلال الإيراني، وقام كثير منهم يشجعهم الأمن والطمأنينة السائدة باتخاذ الإجراءات اللازمة لاستئناف عمليات الاستيراد، وقد أخذت السفن الإنكليزية وتلك التي يملكها التجار الهنود تتردد إليها مرة أخرى، كما أخذ تجار اسطنبول ودمشق وحلب وواوخته وديار بكر وماردين والموصل وبغداد يرتادونها ورفعت رايتها المنكسة⁽¹⁵⁵⁾.

المصادر

1. حسن الجاف، الوجيز في تاريخ إيران، بغداد، بيت الحكمة، 2005، ج3، ص11.
2. عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، بيروت، 1973، ص113.
3. يدعي الصفويون ان سبهم يرجع إلى الامام موسى الكاظم (عليه السلام) وقد عرفت بالدولة الصفوية نسبه إلى الشيخ صفي الدين اسحاق الاردبيلي (1253 - 1334 م). للمزيد ينظر: حسن الجاف، مصدر سابق، ص3.
4. وهو ابن الشاه حيدر الذي قتل على يد حاكم شيروان سنة 1488 م وبعد تولي الشاه علي الحكم (1488 م - 1494 م) بدل والده شعر السلطان يعقوب حاكم الاقاونيلو (1478 م - 1490 م) شعر بالقلق فأقدم على سجن الشاه علي واخوته ومنهم إسماعيل في قلعة اصطخر. للمزيد ينظر: روبرت ادلسن، الموصل والعلاقات العثمانية- الفارسية (1718 - 1743)، ترجمة: عبد الرحمن أمين الجليلي الرياض، 1983، ص170 - 178.
5. بديع جمعة و أحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، القاهرة، 1976، ج1، ص28-30.
6. كمال مصطفى، الفكر الشيعي والتراث الصفوي حتى مطلع القرن الثاني الهجري، بغداد، 1966، ص391.
7. إبراهيم خليل، احمد، إيران و تركيا، دار الكتب، 1992، ص19.
8. المصدر نفسه، ص21.
9. كمال مظهر أحمد، دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد، 1985، ص22.
10. ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط،

نادر شاه الذي استغل الفوضى التي كانت تعيشها بلاد فارس بعد الغزو الأفغاني لها.

وقد استطاع نادر شاه طرد الغزاة و إعادة توحيد البلاد حتى تمكن من تتويج نفسه شاهاً على البلاد.

سعى نادر شاه بعد إعادة توحيد إيران إلى اتباع سياسة توسعية على حساب ممتلكات الدولة العثمانية في أراضي العراق. وقاد حملتين عسكريتين الأولى نحو المناطق الشمالية وخاصة مدينة الموصل الذي فرض الحصار عليها لمدة أربعين يوماً إلا أنه فشل في فتح المدينة بسبب مقاومة أهلها.

أما الحملة الثانية فكانت نحو مدينة بغداد، وقد فرض الحصار عليها طويلاً، وبعد أن يأس من احتلالها طلب توقيع صلح مع واليها و انتهت الحرب بين البلدين، أما الحدث الأهم في تاريخ نادر فيتمثل في دعوته لعلماء المسلمين لعقد مؤتمر إسلامي ينهي من خلاله حالة الصراع بين المذاهب الإسلامية. وقد تم عقد هذا المؤتمر في مدينة النجف وقد خرج المؤتمر ببعض النقاط المهمة منها التقريب بين المذاهب الإسلامية من خلال الاعتراف بالمذهب الجعفري مذهباً خامساً، ثم عادت حالة عدم الاستقرار في بلاد فارس بسبب مقتل نادر شاه بسبب التنافس بين الأمراء الفرس لأجل الاستحواذ على السلطة.

ولم تستمر حالة الفوضى هذه حتى مجيء الشاه كريم خان الزند الذي يعد عهده من أفضل العهود، إذ شهدت إيران حالة من الهدوء والاستقرار لم تشهدها من قبل.

أما ما يخص السياسة الخارجية لكريم خان الزند فقد تمثلت بغزو مدينة البصرة الذي استطاع من ضمها إلى أراضي بلاد فارس حتى وفاته.

- ص 181 ط 3، بغداد، 1962، .
11. المصدر نفسه، ص 181.
12. Hafez . farmagah . The foreign, po-
liey, Of Iran . A.historical un 91 . BC - AD
1991 (utun . 1.9) p15 .
13. علي الوردي لمحات اجتماعية في تاريخ
العراق الحديث والمعاصر، ط 1، 1982، ص 49.
14. دونالد كوانزت، ترجمة: أيمن الاومنازي،
مكتبة العبيكان، الرياض 2004، ص 30.
15. حسن الجاف، مصدر سابق، ص 26.
16. مجموعة باحثين، العراق في التاريخ، بغداد،
1983، ص 565.
17. المصدر نفسه، ص 565.
18. عبد العزيز سليمان نوار، مصدر سابق،
ص 40.
19. محمد سعيد عبد المؤمن، الظواهر الأدبية في
العصر الصنفي، القاهرة، 1978، ص 37.
20. علاء كاظم نورس، العراق في العهد
العثماني، دراسات في العلاقات السياسية
(1700م - 1800م)، بغداد، 1979.
21. ولد سليمان القانوني في مدينة (طرابزون)
كان والده آنذاك والياً عليها، وقد ارتقى عرش
السلطنة في السادسة والعشرين من عمره.
للمزيد ينظر: محمد علي الصلابي، الدولة
العثمانية عوامل النهوض والسقوط، الرياض؟
22. عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص 40.
23. حسن الجاف، مصدر سابق، ص 27.
24. المصدر نفسه، ص 27.
25. المصدر نفسه، ص 32.
26. سيار كوكب الجميل، تكوين العرب
الحديث، 1516-1919، الموصل، دار الكتب
والنشر، 1991، ص 138.
27. المصدر نفسه، ص 138.
28. حسن الجاف، مصدر سابق، ص 32.
29. ismail hami. osmanlik. rono, lig si-
branol, 1971 vol. 11. p. 179.
30. حسن الجاف، مصدر سابق، ص 36.
31. مجموعة مؤلفين، العراق في التاريخ،
ص 577.
32. نادية محمود مصطفى، العصر العثماني
من القوة إلى بداية المسألة الشرقية، ص 19.
www.docudesk.com
33. بديع جمعة الشاه عباس الكبير، بيروت، دار
النهضة العربية، 1980، ص 165.
34. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة
الصفوية، بيروت، دار الفئاس في إيران، 2009،
ص 123.
35. محمد سهيل طقوش، المصدر نفسه،
ص 194.
36. بديع جمعة، مصدر سابق، ص 167.
37. محمد سهيل طقوش، مصدر سابق،
ص 166.
38. بديع جمعة، مصدر سابق، ص 168.
39. سلام، الشاه عباس الكبير وسياسته
الاصلاحية الداخلية في إيران (-1571 1629)،
أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد
كلية التربية ابن رشد، 2012.
40. أحمد رضا جعفري وآخرون، دور أمانة
الأردن في الصراع الصفوي العثماني، مجلة العلوم
الإنسانية الدولية، العدد 19 (2) 17-19،
2012.
41. محمد سهيل طقوش، مصدر سابق،
ص 170.
42. بديع جمعة، مصدر سابق، ص 172.
43. محمد سهيل طقوش، مصدر سابق،
ص 170.

44. بديع محمد جمعة، مصدر سابق، ص 173.
45. محمد سهيل طقوش، مصدر سابق، ص 170.
46. بديع جمعة، مصدر سابق، ص 174-175.
47. محمد سهيل طقوش، مصدر سابق، ص 171.
48. بديع محمد جمعة، مصدر سابق، ص 177-180.
49. المصدر نفسه، ص 182-184.
50. محمد سهيل طقوش، مصدر سابق، ص 175.
51. بديع جمعة، مصدر سابق، ص 189.
52. علاء موسى كاظم، مصدر سابق، ص 30.
53. اندرية ريمون، المدن العراقية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة: لطيف فرج، بيروت، دار الفكر، د. ت، ص 22.
54. علاء موسى، مصدر سابق، ص 30.
55. سيار كوكب الجميل، تكوين العرب الحديث، 1516-1919، دار الكتب للطباعة الموصل، 1991، ص 137.
56. حسن الجاف، مصدر سابق، ص 46.
57. سيار كوكب الجميل، مصدر سابق، ص 137.
58. عبد العزيز صالح محمود، عودة الصفويين، مكتبة الإمام البخاري القاهرة، د. ت، ص 40.
59. حسن الجاف، مصدر سابق، ص 47.
60. حسن الجاف، موسوعة تاريخ إيران السياسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت 2008، ص 281.
61. إسماعيل أحمد باغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي والحديث، مكتبة العبيكان الرياض، 1996، ص 108.
62. نزار قازان، سلاطين بني عثمان بين قتال الأخوة وفتنة الانكشارية، بيروت، دار الفكر، د. ت، ص 80.
63. صالح محمود العابد، حملة السلطان مراد الرابع لاستعادة بغداد 1638، مجلة المورد، العدد الرابع، عدد خاص، المجلد الثامن، 1979، ص 70.
64. عبد الجبار محمد جرجيس، حصار الموصل، الموصل، 1982، ص 14.
65. نوران برهان علي، العلاقات العثمانية الفارسية في العهد القاجاري 1795-1899، رسالة ماجستير (غير منشورة) الجامعة المستنصرية كلية التربية، 2014، ص 21.
66. تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة القاجارية حتى نهاية الدولة القاجارية 820-1925 م، ترجمة: محمد علاء الدين منصور، مراجعة: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة للنشر، 1990، ص 675.
67. محمد صالح العابد، مصدر سابق، ص 79.
68. محمد سهيل طقوش، مصدر سابق، ص 215.
69. محمد صالح العابد، مصدر سابق، ص 79.
70. المصدر نفسه، ص 80.
71. محمد سهيل، مصدر سابق، ص 215.
72. المصدر نفسه، ص 215.
73. محمد صالح العابد، مصدر سابق، ص 80.
74. محمد سهيل، مصدر سابق، ص 215-216.
75. محمد صالح العابد، مصدر سابق، ص 81.
76. يلماز أوتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمد سلمان ومحمود الأنصاري، استانبول، مؤسسة فيصل للتمويل، 1988، ص 479.
77. محمد صالح العابد، مصدر سابق، ص 80.

78. محمد سهيل، مصدر سابق، ص 216.
79. يلماز اوتونا، مصدر سابق، ص 479.
80. محمد سهيل، مصدر سابق، ص 217.
81. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، 1981.
82. صالح محمد العابد، مصدر سابق، ص 80.
83. المصدر نفسه، ص 81-84.
84. علي شاکر علي، تاريخ العراق في العصر العثماني، د. م، 1985، ص 64.
85. صالح حسين عبدالله، السلطان مراد الرابع 1623 - 1640، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد كلية الآداب، 2000، ص 143.
86. علي شاکر علي، مصدر سابق، ص 66.
87. المصدر نفسه، ص 46.
88. صالح حسين عبدالله، مصدر سابق، ص 150 - 151.
89. يلماز اوتونا، مصدر سابق، ص 481-482.
90. محمد فريد بك، مصدر سابق، ص 284.
91. إبراهيم بك حليم، مصدر سابق، ص 134.
92. علاء موسى كاظم، مصدر سابق، ص 65.
93. علي شاکر علي، مصدر سابق، ص 78.
94. شاکر ضياء الضابط، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق، بغداد، دار العربي وايران، 1966، ص 33-34.
95. المصدر نفسه، ص 34.
96. نوران برهان، مصدر سابق، ص 22.
97. علاء موسى كاظم، مصدر سابق، ص 66.
98. نوران برهان، مصدر سابق، ص 23.
99. محمد صالح العابد، مصدر سابق، ص 1156.
100. العراق في القرن السابع عشر. كما وصفه (تافرينيه)، ترجمة: عواد وبشير فرنسيس، بغداد، 1944، ص 28.
101. مينورسكي فلاديمير، تاريخ نادر شاه، ترجمة: رشيد ياسمي شهران، 1313، ص 8.
102. Lock hart . Laare ne . Nadir shah qitical stady based mainly up on contem porary . soarees 19 . 38 . 9p.112.
103. وهو ابن الشاه حسين لقب باسم طهاسب الثاني، أعلن نفسه شاه على إيران في تشرين الثاني 1722 م. للمزيد ينظر: عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص 89-90.
104. علي الورددي، مصدر سابق، ص 110.
105. ميرزا محمد صادق الموسوي، مصدر سابق، ص 439.
106. علي الورددي، مصدر سابق، ص 111.
107. الضابط، مصدر سابق، ص 43.
108. لوثيريك، مصدر سابق، ص 169.
109. حسن الجاف، مصدر سابق، ص 93.
110. وهو حاكم ولاية الموصل الذي أبدى شجاعة كبيرة في مواجهة حملة نادر شاه لأجل السيطرة على المدينة. للمزيد ينظر: ولسن، المصدر السابق، ص 271-290.
111. محمد أمين زكي، تاريخ السليمانية، ترجمة: الملا جميل الروزياني، بغداد، 1951، ص 72.
112. علاء موسى كاظم، مصدر سابق، ص 92.
113. عبد العظيم رضائي، تاريخ رسالة إيران، سلسلة أفسارية، استعراض قاجارية نهران، 1377، ص 21.
114. حسن الجاف، مصدر سابق، ص 92.
115. علي الورددي، مصدر سابق، ص 115.
116. المصدر نفسه، ص 115.
117. المصدر نفسه، ص 1156.
118. مينووسكي، تاريخ نادر شاه، مصدر سابق، ص 21.

- ص 40 . 138 . حسن الجاف، مصدر سابق، ص 113 .
- 119 . شاكِر صابر الضباط، مصدر سابق، ص 43 .
- 120 . وصفي ابو مغلي، مصدر سابق، ص 265 - 266 .
- 121 . ولسن، مصدر سابق، ص 182 .
- 122 . لوريميد، مصدر سابق، ص 140 .
- 123 . عبد العزيز نوار، مصدر سابق، ص 312 .
- 124 . حسن الجاف، مصدر سابق، ص 109 .
- 125 . علي الوردِي، مصدر سابق، ص 147 .
- 126 . المصدر نفسه، ص 148 .
- 127 . محمد أمين العمري، منهل الأولياء، تحقيق: مفيد الديوه جي، ج 1، الموصل، 1967، ص 160 - 161 .
- 128 . سيار كوكب الجميل، مصدر سابق، ص 141 .
- 129 . المصدر نفسه، ص 142 .
- 130 . دوحة الوزراء، ترجمة: موسى كاظم نوري، د. ت، ص 45 .
- 131 . احمد كاظم البياتي، المعطيات العسكرية لنادر شاه في قندهار- الهند- تركستان، 1737-1740م، بغداد، مكتب أحمد الدباغ، 2009، ص 19 .
- 132 . سيار كوكب الجميل، مصدر سابق، ص 175 .
- 133 . عبد الرحمن السويدي، الحجج القطعية لاتفاق الفرق الاسلامية مؤتمر النجف، القاهرة، 1267، ص 27 .
- 134 . المصدر نفسه، ص 28 .
- 135 . الشيخ محمد حسين المظهر، تاريخ الشيعة، بيروت، 1985، ص 221 .
- 136 . شبكة المعلومات الدولية

137. <http://www.re.fed.net.drese.archlbt.lttm>.